كلمة الناشر

إن الظروف العصيبة التي تمر بالعالم.. والمشكلات الكبيرة التي تعيشها الأمة الإسلامية.. والمعاناة السياسية والاجتماعية التي تقاسيها بمضض.. وفوق ذلك كله، الأزمات الروحية والأخلاقية التي يئنّ من وطأتها العالم أجمع.. والحاجة الماسة إلى نشر وبيان مفاهيم الإسلام ومبادئه الإنسانية العميقة التي تلازم الإنسان في كل شؤونه وجزئيات حياته وتتدخل مباشرةً في حلّ جميع أزماته ومشاكله في الحرية والأمن والسلام وفي كل جوانب الحياة.. والتعطش الشديد إلى إعادة الروح الإسلامية الأصيلة، وبلورة الثقافة الدينية الحيّة، وبثّ الوعي الفكري والسياسي في أبناء الإسلام كي يتمكنوا من رسم خريطة المستقبل المشرق.. كل ذلك دفع المؤسسة لأن تقوم بنشر مجموعة من المحاضرات التوجيهية القيمة التي ألقاها المرجع الديني الإمام الراحل السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله مقامه) في ظروف وأزمنة مختلفة، حول مختلف شؤون الحياة الفردية والاجتماعية، وقد قام سماحته دام عزه بتهذيبها والإضافة عليها، فقمنا بطباعتها مساهمةً منا في نشر الوعي الإسلامي، وسدّاً لبعض الفراغ العقائدي والأخلاقي لأبناء المسلمين من أجل غدٍ أفضل ومستقبل مجيد.. وذلك انطلاقاً من الوحي الإلهي القائل: ﴿**لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾[1].

---

(١) سورة التوبة: ١٢٢.

الذي هو أصل عقلائي عام يرشدنا إلى وجوب التفقه في الدين وإنذار الأمة، ووجوب رجوع الجاهل إلى العالم في معرفة أحكامه في مواقفه وشؤونه.. كما هو تطبيق عملي وسلوكي للآية الكريمة:

﴿**فبشر عباد ۞ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب**﴾ (١).

إن مؤلفات الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) تتسم بـ:

أولا: التنوّع والشمولية لأهم أبعاد الإنسان والحياة لكونها انعكاساً لشمولية الإسلام.. فقد أفاض قلمه المبارك الكتب والموسوعات الضخمة في شتى علوم الإسلام المختلفة، بدءً من موسوعة (الفقه) التي بلغت المائة والستين مجلداً، حيث تُعدّ أكبر موسوعة علمية استدلالية فقهية في العالم الإسلامي، مروراً بعلوم الحديث والتفسير والكلام والأصول والسياسة والاقتصاد والاجتماع والحقوق وسائر العلوم الحديثة الأخرى.. وانتهاءً بالكتب المتوسطة والصغيرة التي تتناول مختلف المواضيع والتي تتجاوز بمجموعها الـ (١٣٠٠) كتاب وكراس.

ثانيا: الأصالة حيث إنها تتمحور حول القرآن الكريم والسنة المطهرة وتستلهم منهما الرؤى والأفكار.

ثالثا: المعالجة الجذرية والعملية المستبصرة بمشاكل الأمة الإسلامية ومشاكل العالم المعاصر. **رابعا**: التحدث بلغة علمية رصينة في كتاباته لذوي الاختصاص كـ(الأصول) و(القانون) و(البيع) وغيرها، وبلغة واضحة سهلة يفهمها الجميع في كتاباته الجماهيرية، مدعومة بشواهد من واقع الحياة.

---

(١) سورة الزمر: ١٧-١٨.

نرجو من المولى العلي القدير أن يتقبل منا ذلك، إنه سميع مجيب.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

الإنسان الحقيقي

أفضل نموذج للإنسان الحقيقي الجامع لجميع صفات الخير هو الرسول الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد وصفه الباري عزوجل في كتابه بأخلاقه المثالية حيث قال تبارك وتعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ (١).

فقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ﴾ أي يا محمد ﴿لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ الخُلُق بضمتين: السجية والطبع والدين والأخلاق الحسنة والمروءة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق»(٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما يوضع في ميزان امرئ يومَ القيامة أفضل من حسن الخلق»(٣).

---

(١) سورة القلم: ٤.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١١ ص١٨٧ ب٦ ح١٢٧٠١.

(٣) الكافي: ج٢ ص٩٩ باب حسن الخلق ح٢.

وفي الحديث الشريف: «أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق، وخير ما أعطي الإنسان الخلق الحسن، وخير الزاد ما صحبه التقوى، وخير القول ما صدقه الفعل»[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا»[2].

وقيل: ﴿خُلُق عظيم﴾ أي على دين عظيم وهو الإسلام.

وقيل: هو أدب القرآن.

وقالوا: كان خُلُق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما تضمنه العشر الأُول من سورة ﴿المؤمنون﴾[3].

وقالوا: الخُلُق المرور في الفعل على عادة، والخُلُق الكريم الصبر على الحق وسعة البذل، وتدبير الأمور على مقتضى العقل، وفي ذلك الرفق والأناة والحلم والمداراة، ومن وصفه الله بأنه على خُلُق عظيم، فليس وراء مدحه مدح.

وقيل: وإنك لعلى خُلُق عظيم بحكم القرآن، وكل ذلك عطف على

---

(١) إرشاد القلوب: ج١ ص١٩٤ ب٥٢ في أحاديث منتخبة.

(٢) الكافي: ج١ ص٢٣ كتاب العقل والجهل ح١٧.

(٣) ﴿بِسْمِ اللّهِ الرّحْمـَنِ الرّحِيمِ ۞ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ ۞ وَالّذِينَ هُمْ عَنِ اللّغْوِ مّعْرِضُونَ ۞ وَالّذِينَ هُمْ لِلزّكَـاةِ فَاعِلُونَ ۞ وَالّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۞ إِلاّ عَلَىَ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ابْتَغَىَ وَرَآءَ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۞ وَالّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۞ وَالّذِينَ هُمْ عَلَىَ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.

جواب القسم[1].

وذكر أيضاً في معناها: إنك متخلق بأخلاق الإسلام، وعلى طبع كريم، وحقيقة الخُلُق ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب. وإنما سمي خُلُقا، لأنه يصير كالخلقة فيه. فأما ما طبع عليه من الآداب، فإنه الخيم[2]. فالخُلُق هو الطبع المكتسب. والخيم: هو الطبع الغريزي.

وقيل: الخُلُق العظيم: الصبر على الحق، وسعة البذل، وتدبير الأمور على مقتضى العقل بالصلاح، والرفق، والمداراة، وتحمل المكاره في الدعاء إلى الله سبحانه، والتجاوز، والعفو، وبذل الجهد في نصرة المؤمنين، وترك الحسد، والحرص، ونحو ذلك.

وقيل: سمي خُلُقه عظيماً؛ لأنه ﷺ عاشر الخلق بخلقه، وزايلهم بقلبه، فكان ظاهره مع الخَلق، وباطنه مع الحق.

وقيل: لأنه امتثل تأديب الله سبحانه إياه بقوله: ﴿**خُذِ العَفوَ وأمُر بِالعُرفِ وأعرِض عَنِ الجاهِلِينَ**﴾[3].

وقيل: سمي خُلُقه عظيماً، لاجتماع مكارم الأخلاق فيه.

ويعضده ما سبق من قوله ﷺ قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم

---

(١) راجع التبيان في تفسير القرآن: ج١٠ ص٧٥ سورة القلم.

(٢) الخِيم: الشيمة والطبيعة والخلق والسجية. وقيل: بالكسر الخلق، وقيل: سعة الخلق، وقيل: الأصل فارسي معرب لا واحد له من لفظه. لسان العرب: ج١٢ ص١٩٤ مادة «خيم».

(٣) سورة الأعراف: ١٩٩.

الأخلاق»[1].

وعن أبي الدرداء قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «ما من شيء أثقل في الميزان من خلق حسن»[2].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»[3].

وقال صلى الله عليه وآله: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار»[4].

وعن الرضا علي بن موسى عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «عليكم بحسن الخلق، فإن حسن الخلق في الجنة لا محالة، وإياكم وسوء الخلق فإن سوء الخلق في النار لا محالة»[5].

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: «أحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقا، الموطأون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون. وأبغضكم إلى الله المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الإخوان، الملتمسون للبراء العثرات»[6].

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٧ ص٣٧٢ ب٥٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٨ ص٣٨٣ ب٩٢.

(٣) بحار الأنوار: ج١٦ ص٢١٠ ب٩.

(٤) بحار الأنوار: ج٦٨ ص٣٨٢ ب٩٢.

(٥) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٥٢ ب١٠٤ ح١٥٩٢٠.

(٦) راجع مجمع البيان في تفسير القرآن: ج١٠ ص٨٦ سورة القلم.

من مصاديق الخلق العظيم

إن هناك أخلاقيات مهمة يلزم على كل مسلم أن يتحلى بها، لكي يكون قد تأسى بصاحب الخُلُق العظيم وهو رسول الله ﷺ، من تلك الصفات: التقوى، وحسن الأخلاق، وخدمة الناس؛ فإن هذه الأخلاقيات هي سُلّم وصول الإنسان إلى مراتب السمو والكمال، فيكون إنساناً حقيقياً، وهذه الأمور هي التي تميز الإنسان عن الحيوان، فإن تعمد تركها واتبع الشهوات انحط إلى مرتبة الحيوان، بل كان أضل سبيلاً كما يعبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [1].

إن للإنسان والحيوان جهة اشتراك هي: أن كليهما جسمٌ نامٍ حساسٌ متحركٌ بالإرادة، حسب تعبير علماء المنطق، وكليهما يشغل حيزاً في الفراغ[2]، كما يعبّر بعض الطبيعيين، ولكن الفرق بينهما أن الإنسان عاقل ناطق، يمكنه أن يختار الأعمال الصالحة التي دلّه عليها العقل، أو أرشده إليها الشارع[3]، وعرّفه بحسنها، كالتقوى والأخلاق والصدق والأمانة وخدمة الناس وغيرها، ويترك الأعمال القبيحة والمضرة،

---

(١) سورة الفرقان: ٤٤.

(٢) هذه عبارة ثانية عن الجسم حيث إنه المتحيز كما ذكروا.

(٣) بخلاف الحيوان حيث إن أفعاله ناشئة من غرائزه التي أودعها الله فيه.

والتي نهاه عنها العقل والشارع، كشرب الخمر ولعب القمار والكذب والغيبة وغيرها. فلنكن أناساً حقيقيين بمعنى الكلمة، وهذا الأمر يستلزم منّا أن نجتهد ونعمل بجميع ما أمرنا به الشارع، ونتجنب عن جميع ما نهانا عنه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ذللوا أنفسكم بترك العادات، وقودها إلى فعل أفضل الطاعات، وحمّلوها أعباء المغارم، وحلّوها بفعل المكارم، وصونوها عن دنس المآثم»[1].

وقال عليه السلام: «بغلبة العادات الوصول إلى أشرف المقامات»[2].

التقوى قوام الأخلاق

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[3].

قوله عزوجل: ﴿أَتْقَاكُمْ﴾ يعني أكثركم تقوىً، فمن أراد الرفعة عند الله فليجدّ في أن يكون أكثر تقوى من الآخرين، وكلما زاد الإنسان تقوى زاد كفاءة. منتهى الأمر أن الكفاءة عند أهل الدنيا عبارة عن

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٣٨ ق٣ ب٢ ف١ ح٤٧٩٧.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٢٢ ق٣ ب٤ ف١٢ ح٧٤٨١.

(٣) سورة الحجرات: ١٣.

الكفاءات الدنيوية فقط، وعند الله هي الكفاءات المعنوية والروحية، مضافاً إلى الدنيوية، لأن الإسلام دنيا وآخرة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ﴾ أي بكل أموركم ﴿خَبِيرٌ﴾ والخبير فوق العليم، لأنه عبارة عن العلم والتجربة، فالذي تعلّم الطب ولم يجرّب لا يسمى خبيراً، بخلاف ما إذا جرب، والمراد به في الله سبحانه أنه في غاية العلم والإدراك، فمن أطاعه علم ذلك وجزاه، ومن عصاه علم ذلك وأخزاه[1].

والتقوى[2] هي وقاية النفس وصيانتها من الرذائل والمعاصي، وهي من أهم مقومات الأخلاق المثالية، ومن الفضائل النفسية التي تسمو بالإنسان إلى مراتب العلو والكمال وإلى مراتب القرب من الله تعالى، فالتقوى لا تزيد الإنسان طولاً أو عرضاً، أو ما إلى ذلك من الأبعاد الجسمية، وإنما هي جانب معنوي رفيع.

كما أن الإنسان لا يُدعى إنساناً بلحاظ جسمه وصفاته المادية، بل بلحاظ روحه وأبعاده المعنوية من تقوى وأخلاق وغير ذلك.

قال الشاعر:

---

(١) راجع تقريب القرآن إلى الأذهان: ج٢٦ ص١٣١ سورة الحجرات.

(٢) الاتقاء: الامتناع من الردى باجتناب ما يدعو إليه الهوى، والتقوى فعلى كنجوى، والأصل فيه (وقوى) من وقيته: منعته، قلبت الواو تاء وكذلك تقاة والأصل وقاة. للتفصيل انظر مجمع البحرين: ج١ ص٤٤٨ مادة «وقا».

أقبل على النفس واستكمل فضائلها

فأنت بالنفس لا بالجسم إنســـان

وهذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1] تشير إلى أن الميزان في تفاضل الناس هو التقوى، وإلاّ فهم من حيث الخلق سواء.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الناس كأسنان المشط سواء»[2].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «المؤمنون كأسنان المشط يتساوون في الحقوق بينهم ويتفاضلون بأعمالهم»[3].

كما تشير الآية إلى أن الإنسان كريم على الله تعالى ما دام تقياً، حيث لا ينفعه نسبه أو حسبه.

فعن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: «جلس جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ينتسبون ويفتخرون، وفيهم سلمان رحمه الله، فقال له عمر: ما نسبتك أنت يا سلمان؟ وما أصلك؟

فقال: أنا سلمان بن عبد الله، كنت ضالاً فهداني الله بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكنت عائلاً فأغناني الله بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكنت مملوكاً فأعتقني الله بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، فهذا حسبي ونسبي يا عمر!.

---

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٣٧٩ ح٥٧٩٨.

(٣) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٣٢٧ ب١٠ ح٩٥٦٨.

ثم خرج رسول الله ﷺ فذكر له سلمان ما قال عمر، وما أجابه.

فقال رسول الله ﷺ: يا معشر قريش، إن حسب المرء دينه، ومروءته خلقه، وأصله عقله، قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[1] ثم أقبل على سلمان رحمه الله فقال له: يا سلمان، إنه ليس لأحد من هؤلاء عليك فضل إلا بتقوى الله، فمن كنت أتقى منه فأنت أفضل منه»[2].

وقول الرسول صلى الله عليه وآله في هذه الرواية لا يدع مجالاً للشك بأن الناس سواسية، وليس هناك ميزان فاضل فيما بينهم إلا التقوى، فلا تمايز في نظر الإسلام على أساس اللون، كسواد البشرة أو بياضها، ولا الغنى أو الفقر، ولا الطول أو العرض، ولا العروبة أو العجمة، ولا غيرها من الفوارق المادية.

وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدة**﴾[3] والحكمة في الاختلاف في اللون والطول والألسن، إنما هي للتعارف وللدلالة على خلق الله تعالى، حيث قال عزوجل: ﴿**ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف**

---

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) الأمالي، للشيخ الطوسي: ص١٤٧ المجلس ٥ ح٢٤١.

(٣) سورة النساء: ١.

﴿ألسنتِكم وألوانِكم﴾ [1].

(١) سورة الروم: ٢٢.

الشيعة والأخلاق المثالية

من صفات شيعة أهل البيت عليهم السلام حسن أخلاقهم وشدة ورعهم وتقواهم.

فإن كلمة الشيعة مأخوذة من (المشايعة) بمعنى المتابعة، وهم شيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام وأولاده المعصومين عليهم السلام فيلزم عليهم أن يتبعوهم في أخلاقهم المثالية.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن شيعة علي عليه السلام كانوا خمص البطون، ذُبُل الشفاه من الذكر، أهل رأفة وعلم وحلم، يعرفون بالرهبانية، فأعينونا على ما أنتم عليه بالورع والاجتهاد»[1].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إن أصحاب علي عليه السلام كانوا المنظور إليهم في القبائل وكانوا أصحاب الودائع، مرضيين عند الناس، سهار الليل، مصابيح النهار»[2].

وعن ربيعة بن ناجد قال: سمعت عليا عليه السلام يقول: «إنما مثل شيعتنا مثل النحلة في الطير، ليس شيء من الطير إلاّ وهو يستضعفها، فلو أن الطير تعلم ما في أجوافها من البركة لم تفعل بها ذلك»[3].

وعن أبي بصير، قال أبو عبد الله عليه السلام: «إياك و السفلة من الناس»

---

(١) الكافي: ج٢ ص٢٣٣ باب المؤمن وعلاماته وصفاته .. ح١٠.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٥ ص١٨٠ ب١٩ ذيل ح٣٨.

(٣) بحار الأنوار: ج٦٥ ص٧٥ ب١٥ ح١٣٣.

قلت: جعلت فداك وما السفلة؟ قال: «من لا يخاف الله! إنما شيعة جعفر من عف بطنه وفرجه وعمل لخالقه، وإذا رأيت أولئك فهم أصحاب جعفر»[1].

وعن مهزم قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فذكرت الشيعة! فقال: «يا مهزم إنما الشيعة من لا يعدو سمعه صوته، ولا شحنه بدنه، ولا يحب لنا مبغضا، ولا يبغض لنا محبا، ولا يجالس لنا غاليا، ولا يهر هرير الكلب، ولا يطمع طمع الغراب، ولا يسأل الناس وإن مات جوعا، المتنحي عن الناس الخفي عليهم، وإن اختلفت بهم الدار لم تختلف أقاويلهم، إن غابوا لم يفقدوا، وإن حضروا لم يؤبه بهم، وإن خطبوا لم يزوجوا، يخرجون من الدنيا وحوائجهم في صدورهم، إن لقوا مؤمنا أكرموه، وإن لقوا كافرا هجروه، وإن أتاهم ذو حاجة رحموه، وفي أموالهم يتواسون». ثم قال: «يا مهزم قال جدي رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي رضوان الله عليه: يا علي كذب من زعم أنه يحبني ولايحبك، أنا المدينة وأنت الباب ومن أين تؤتى المدينة إلا من بابها»[2].

وعن ميسرة قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يا ميسر ألا أخبرك بشيعتنا؟» قلت: بلى جعلت فداك، قال: «إنهم حصون حصينة في صدور أمينة، وأحلام رزينة، ليسوا بالمذاييع البذر، ولا بالجفاة المراءين، رهبان

---

(١) مشكاة الأنوار: ص٦٣ الفصل الثاني في ذكر علامات الشيعة.

(٢) مشكاة الأنوار: ص٦١ الفصل الثاني في ذكر علامات الشيعة.

بالليل، أُسد بالنهار»[1].

والبذر: القوم الذين لا يكتمون الكلام.

إن كلمة الشيعة تعنى الأتباع، وقد أطلقت في القرآن الكريم على أتباع نوح عليه السلام حيث قال تعالى: ﴿**وإن من شيعته لإبراهيم**﴾[2].

وأطلقها النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أتباع الإمام علي عليه السلام وسماهم بهذا الاسم، كما رواه المؤرخون والمحدثون شيعة وسنة في كتبهم، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا علي، أنت وشيعتك الفائزون»[3].

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٥ ص١٨٠ ب١٩ ح٣٨.

(٢) سورة الصافات: ٨٣ .

(٣) (الشيعة) في اللغة: هم الأتباع والأنصار، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد، وهو من المشايعة والمتابعة، وفي العرف العام أصبح التشيع علماً على من تولى علياً عليه السلام وبنيه عليهم السلام وأقر بإمامتهم. والتشيع في أصل اللغة هو الإتباع على وجه التدين في الولاء للمتبوع، قال تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ سورة القصص: ١٥. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ﴾ سورة الصافات: ٨٣. فالتشيع يضمن في معناه الإتباع والنصرة من جماعة لرجل عموماً، ولكن كلمة (شيعة) مجردة لا تعني العموم، وإنما تنصرف في دلالة خاصة إلى الجماعة التي ناصرت علياً وشايعته، وألتفت حوله وأقرت بإمامته، تقتدي به وتجعل له مقاماً يسمو على مقام معاصريه من الصحابة. قال أبو الحسن الأشعري: إنما قيل لهم: الشيعة، لأنهم شايعوا علياً عليه السلام ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله. وذكر ابن حزم الأندلسي: أن من وافق الشيعة في أن علياً عليه السلام أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فهو شيعي.
قال رسول الله صلى الله عليه وآله مشيراً إلى علي بن أبي طالب عليه السلام: «والذي نفسي بيده، إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة» راجع تاريخ دمشق لابن ←

فكان أتباع الإمام علي عليه السلام يعرفون بهذا الاسم منذ أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو أول من أطلق عليهم هذا الاسم عليهم. وحيث إن كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحي من الله تعالى إذ قال سبحانه في القرآن الحكيم: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[1] فتسمية الشيعة بهذا الاسم إنما هو وحي من الله تعالى.

→

عساكر: ج٢ ص٤٤٢ ح٩٥١، وص ٣٤٨ ح٨٤٩ و٨٥١. والمناقب للخوارزمي: ص٦٢. وشواهد التنزيل للحسكاني الحنفي: ج٢ ص٣٦٢ ح١١٣٩. وكفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص٢٤٥ و٣١٣ و٣١٤. والدر المنثور للسيوطي الشافعي: ج٦ ص٣٧٩. وفرائد السمطين: ج١ ص١٥٦.

وانظر: كنوز الحقائق: ص٩٢، وفيه عنه صلى الله عليه وآله: «علي وشيعته هم الفائزون يوم القيامة». والهيثمي في مجمعه: ج١ ص١٣١. والصواعق المحرقة: ص٩٦. وتذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي الحنفي: ب٢ ص٥٦. والفردوس بمأثور الخطاب لابن شيرويه الديلمي: ج٣ ص٦١.

وفي حديث قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «السابقون إلى ظل العرش يوم القيامة طوبى لهم»، قال: «من هم؟» قال صلى الله عليه وآله وسلم: «هم شيعتك يا علي ومحبوك» شرح الزرقاني: ج٤ ص٤٤١ ط دار الكتب العلمية بيروت. وفي حديث آخر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي، إن الله قد غفر لك ولذريتك ولولدك ولأهلك ولشيعتك، فأبشر فإنك الأنزع البطين» الفردوس بمأثور الخطاب لابن شيرويه الديلمي: ج٥ ص٣٢٩ ط دار الكتب العلمية بيروت. وفي حديث قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فاستغفرت لعلي وشيعته» مجمع الزوائد للهيثمي: ج٩ ص١٧٢ ط دار الريان للتراث القاهرة. والمعجم الأوسط للطبراني: ج٤ ص٢١٢ ط دار الحرمين القاهرة.

أما ما ورد في مصادر الشيعة فكثير، انظر: بحار الأنوار: ج٣٦ ص٢٨٣ و٢٨٤ ب٤١ ح١٠٦. الإرشاد: ج١ ص٤١، وكشف الغمة: ج١ ص٥٣.

(١) سورة النجم: ٣ ـ ٤ .

و«الشيعة» هم المسلمون الذين شايعوا واتبعوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأولاده الطاهرين عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، إتباعاً للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله حيث قال قبل وفاته: «إني يوشك أن أدعى فأجيب، وإني تاركٌ فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا من بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي» (١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «علي مع الحق والحق مع علي» (٢).

---

(١) راجع صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام ج٢ ص٣٦٢ ط عيسى الحلبي، وج١٥ ص١٧٩-١٨٠ ط مصر بشرح النووي.

(٢) وردت عدة أحاديث بهذا المعنى، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «علي مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة» انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج١٤ ص٣٢١، وترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي: ج٣ ص١١٩ ح١١٦٢. وغاية المرام: ص٥٣٩ ب٤٥. والإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج١ ص٧٣ ط مصر، ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد: ج٥ ص٣٠، وفرائد السمطين للحموييني: ج١ ص١٧٧.
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله مشيرا إلى علي بن أبي طالب عليه السلام: «الحق مع ذا، الحق مع ذا» رواه أبو سعيد الخدري، انظر: ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٣ ص١١٩ ح١١٦١. مجمع الزوائد للهيثمي: ج٧ ص٣٥.
وقال صلى الله عليه وآله: «رحم الله عليا، اللهم أدر الحق معه حيث دار»، انظر: صحيح الترمذي: ج٥ ص٦٣٣ ح٣٧١٣ ط دار إحياء التراث العربي بيروت. المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج٣ ص١٣٤ ط دار الكتب العلمية بيروت. المناقب للخوارزمي الحنفي: ص٥٦. المعجم الأوسط للطبراني: ج٦ ص٩٥ ط دار الحرمين القاهرة. ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٣ ص١١٧ ح١١٥٩ و١١٦٠. مسند البزار: ج٣ ص٥٢ ط مؤسسة علوم القرآن ←

وقال رسول الله ﷺ: «ستكون من بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب، فإنّه أوّل من يراني وأول من يصافحني يوم القيامة، وهو معي في السماء الأعلى، وهو الفاروق بين الحق والباطل»[1].

وقال ﷺ: «سيكون بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب فإنه الفاروق بين الحق والباطل»[2].

وقال ﷺ: «تكون بين الناس فرقة واختلاف فيكون هذا ـ يعني عليّاً عليه السلام ـ وأصحابه على الحق»[3].

وتسمى الشيعة بـ(الإمامية) أيضاً، لأنهم يعتقدون بإمامة علي أمير المؤمنين وأولاده الأحد عشر عليهم السلام. وتسمى بـ (الجعفرية) لاتباعهم في الحلال والحرام أئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث إنهم عليهم السلام أعلم بكتاب الله، وأدرى بما قاله رسول الله ﷺ. وسادسهم الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام الذي تمكّن من نشر العلوم الإسلامية أصولاً وفروعاً وآداباً وأخلاقاً باستيعاب وشمول أكثر، بما لم تسمح الظروف لسائر

→
بيروت. غاية المرام: ص٥٣٩. مسند أبي يعلى: ج١ ص٤١٨ ط دار المأمون للتراث دمشق.

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب: ج٤٢ ص٤٥٠ الرقم: ٩٠٢٦.

(٢) المناقب: ج٣ ص٩١ باب تعريف باطنه عليه السلام.

(٣) حديث الثقلين: ص٢ في ترجمة أبي نصر بن عبد الجبار العتبى.

الأئمة عليهم السلام بهذا القدر من النشر، والشيعة أخذوا منه عليه السلام أكثر معالم الدين، ولذا نُسبوا إليه، وأما سائر الأئمة عليهم السلام فلم تتاح لهم الفرصة بذلك المقدار، فكانوا يلاقون الاضطراب، كما في زمان أمير المؤمنين علي والحسن والحسين عليهم السلام، أو الكبت والإرهاب على أيدي الحكام الأمويين والعباسيين، لكن الإمام الصادق عليه السلام عاصر فترة أفول دولة بني أمية وظهور دولة بني العباس، حيث اغتنم الفرصة لنشر حقائق الإسلام بصورة واسعة.

كما تسمى الشيعة بـ (الإثني عشرية) لأنهم يعتقدون بإمامة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الخلفاء بعدي اثنا عشر»[1].

فالشيعة هم الصيغة العملية للإسلام كما طرحه النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرون عليهم السلام[2].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي بشّر شيعتك وأنصارك بخصال عشر: أولها طيب المولد، وثانيها حسن إيمانهم بالله، وثالثها حب الله عزوجل لهم، ورابعها الفسحة في قبورهم، وخامسها النور على الصراط بين أعينهم، وسادسها نزع الفقر من بين أعينهم وعن قلوبهم، وسابعها

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٦ ص٢٣٠ ب٤١ ضمن ح١٠.

(٢) للتفصيل راجع كتاب الشيعة والتشيع للإمام الراحل (أعلى الله مقامه). وكتاب (الشيعة في القرآن) لسماحة المرجع الديني السيد صادق الشيرازي دام ظله.

المقت من الله عزوجل لأعدائهم، وثامنها الأمن من الجذام، يا علي وتاسعها انحطاط الذنوب والسيئات عنهم، وعاشرها هم معي في الجنة وأنا معهم»[1].

من صفات الشيعة

أما ما يلزم أن يتصف به الشيعة ويكونوا عليه، فقد بينته الروايات الشريفة في هذا الشأن، ففي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال لأحد أصحابه واسمه جابر[2]: «يا جابر، أيكتفي من انتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت. فو الله، ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع والأمانة، وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة، والبر بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة، والغارمين والأيتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكفّ الألسن عن الناس إلا من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء».

قال جابر: فقلت: يا ابن رسول الله، ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة؟

فقال: «يا جابر لا تذهبن بك المذاهب، حسب الرجل أن يقول: أحب علياً وأتولاه، ثم لا يكون مع ذلك فعّالاً؟ فلو قال: إني أحب

---

(١) جامع الأخبار: ص٣٥ الفصل السابع عشر في فضائل شيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام.
(٢) جابر بن يزيد الجعفي.

رسول الله فرسول الله ﷺ خير من علي عليه السلام، ثم لا يتبع سيرته ولايعمل بسنته، ما نفعه حبه إياه شيئاً. فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحب العباد إلى الله عزوجل وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملهم بطاعته. يا جابر، والله ما يتقرب إلى الله تبارك وتعالى إلا بالطاعة، وما معنا براءة من النار، ولا على الله لأحد من حجة، من كان لله مطيعاً فهو لنا وليّ، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو، وما تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع»[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «عليك بتقوى الله والورع والاجتهاد، وصدق الحديث وأداء الأمانة، وحسن الخلق وحسن الجوار، وكونوا دعاةً إلى أنفسكم بغير ألسنتكم، وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، وعليكم بطول الركوع والسجود؛ فإن أحدكم إذا أطال الركوع والسجود هتف إبليس من خلفه وقال: يا ويله أطاع وعصيت، وسجد وأبيت»[2].

وعن علي بن أبي زيد عن أبيه قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عيسى بن عبد الله القمي، فرحب به وقرب من مجلسه، ثم قال: «يا عيسى بن عبد الله، ليس منا ولا كرامة، من كان في مصر فيه مائة ألف أو يزيدون، وكان في ذلك المصر أحدٌ أورع منه!»[3].

---

(١) الكافي: ج٢ ص٧٤ باب الطاعة والتقوى ح٣.

(٢) الكافي: ج٢ ص٧٧ باب الورع ح٩.

(٣) الكافي: ج٢ ص٧٨ باب الورع ح١٠.

وعن عمرو بن سعيد بن هلال قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أوصني؟

فقال: «أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد، واعلم أنه لا ينفع اجتهادٌ لا ورع فيه»[1].

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «أعينونا بالورع؛ فإنه من لقي الله عزوجل منكم بالورع كان له عند الله فرجاً، وإن الله عز وجل يقول: ﴿**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا**﴾[2] فمنا النبي ومنا الصديق والشهداء والصالحون»[3].

وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إنا لا نعد الرجل مؤمناً حتى يكون لجميع أمرنا متبعاً مريداً، ألا وإن من اتباع أمرنا وإرادته الورع، فتزينوا به يرحمكم الله، وكيدوا أعداءنا به ينعشكم الله»[4].

وعن أبي الحسن الأول موسى بن جعفر عليه السلام قال: «كثيراً ما كنت أسمع أبي عليه السلام يقول: ليس من شيعتنا من لا تتحدث المخدرات بورعه في خدورهن، وليس من أوليائنا من هو في قرية فيها عشرة آلاف رجل

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٥ ص٢٩٥ ب٢٤ ح٤.

(٢) سورة النساء: ٦٩.

(٣) الكافي: ج٢ ص٧٨ باب الورع ح١٢.

(٤) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٤٣ ب٢١ ح٢٠٣٩١.

فيهم من خلق الله أورع منه»[1].

وعن جابر الجعفي قال: تقبضت بين يدي أبي جعفر عليه السلام فقلت: جعلت فداك، ربما حزنت من غير مصيبة تصيبني، أو أمر ينزل بي حتى يعرف ذلك أهلي في وجهي وصديقي؟!

فقال: نعم يا جابر، إن الله عز وجل خلق المؤمنين من طينة الجنان وأجرى فيهم من ريح روحه؛ فلذلك المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، فإذا أصاب روحاً من تلك الأرواح في بلد من البلدان حزن حزنت هذه لأنها منها»[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله، لايخونه ولا يظلمه ولا يغشه، ولا يعده عدةً فيخلفه»[3].

وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «كونوا دعاةً للناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير، فإن ذلك داعية»[4].

وعن أبي الحسن الماضي عليه السلام: «ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حسناً استزاد الله، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه

---

(١) الكافي: ج٢ ص٧٩ باب الورع ح١٥.
(٢) الكافي: ج٢ ص١٦٦ باب أخوة المسلمين بعضهم لبعض ح٢.
(٣) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٠٥ ب١٢٢ ح١٦٠٩٦.
(٤) بحار الأنوار: ج٦٧ ص٣٠٣ ب٥٧ ح١٣.

وتاب إليه»[1].

وعن أبي الربيع الشامي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام والبيت غاص بأهله فيه الخراساني، والشامي، ومن أهل الآفاق، فلم أجد موضعاً أقعد فيه، فجلس أبو عبد الله عليه السلام وكان متكئاً ثم قال: «يا شيعة آل محمد اعلموا، أنه ليس منا من لم يملك نفسه عند غضبه، ومن لم يحسن صحبة من صحبه، ومخالقة من خالقه، ومرافقة من رافقه، ومجاورة من جاوره، ومماحكة من ماحكه. يا شيعة آل محمد، اتقوا الله ما استطعتم، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[2].

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «عظموا أصحابكم ووقروهم ولايتهجم بعضكم على بعض، ولا تضاروا ولا تحاسدوا، وإياكم والبخل كونوا عباد الله المخلصين الصالحين»[3].

من آداب الشيعة

عن أبي الحسن عليه السلام: «إن للحق أهلا وللباطل أهلا، فأهل الحق في شُغُل عن أهل الباطل، ينتظرون أمرنا ويرغبون إلى الله إن يروا دولتنا، ليسوا بالبذر المذيعين ولا بالجفاة المراءين، ولا بنا مستأكلين ولا بالطمعين، خيار الأمة نور في ظلمات الأرض ونور في ظلمات الفتن

---

(١) الكافي: ج٢ ص٤٥٣ باب محاسبة العمل ح٢.

(٢) الكافي: ج٢ ص٦٣٧ باب حسن المعاشرة ح٢.

(٣) الكافي: ج٢ ص٦٣٧ باب حسن المعاشرة ح٤.

ونور هدى يستضاء بهم، لا يمنعون الخير أولياءهم، ولا يطمع فيهم أعداؤهم، إن ذُكرنا بالخير استبشروا وابتهجوا واطمأنت قلوبهم وأضاءت وجوههم، وإن ذُكرنا بالقبح اشمأزت قلوبهم واقشعرت جلودهم وكلحت وجوههم وأبدوا نصرتهم وبدا ضمير أفئدتهم، قد شمروا فاحتذوا بحذونا، وعملوا بأمرنا، تعرف الرهبانية في وجوههم، يصبحون في غير ما الناس فيه، ويمسون في غير ما الناس فيه، يجأرون إلى الله في إصلاح الأمة بنا، وأن يبعثنا الله رحمة للضعفاء والعامة، يا عبد الله أولئك شيعتنا وأولئك منا وأولئك حزبنا وأولئك أهل ولايتنا»[1].

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل هذا جعفري، فيسرني ذلك، وقالوا هذا أدب جعفر، وإذا كان على غير ذلك دخل علي بلاؤه وعاره، والله لقد حدثني أبي عليه السلام أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي رضوان الله عليه فكان أقضاهم للحقوق وأداهم للأمانة وأصدقهم للحديث إليه وصاياهم وودائعهم، يسأل عنه فيقال من مثل فلان، فاتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جروا إلينا كل مودة وادفعوا عنا كل قبيح، فإنه ما قيل لنا فما نحن كذلك، لنا حق في كتاب الله وقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله وتطهير من الله وولادة طيبة لا

(١) مشكاة الأنوار: ص٦٣ - ٦٤ الفصل الثاني في ذكر علامات الشيعة.

يدعيها أحد غيرنا إلا كذاب، أكثروا ذكر الله وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي، فإن الصلاة عليه عشر حسنات، خذ بما أوصيتك به وأستودعك الله»[1].

وعن إسماعيل بن عمار قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «أوصيك بتقوى الله والورع وصدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الجوار وكثرة السجود، فبذلك أمرنا محمد»[2].

وعن عمرو بن سعيد بن هلال قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام جعلت فداك إني لا أكاد أن ألقاك إلا في السنين فأوصني بشيء آخذ به، قال: «أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد، واعلم أنه لم ينفع ورع إلا بالاجتهاد، وإياك أن تطمع نفسك إلى من فوقك، وكثيرا ما قال الله جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وآله ﴿**فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم**﴾[3]، و قال: ﴿**لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا**﴾[4]، فإن داخلك شيء فاذكر عيش رسول الله صلى الله عليه وآله إنما كان قوته الشعير وحلاوته التمر ووقوده السعف، وإذا أصبت بمصيبة في نفسك فاذكر مصابك برسول الله صلى الله عليه وآله فإن الخلائق لم يصابوا بمثله

---

(١) مشكاة الأنوار: ص٦٤ - ٦٥ الفصل الثالث في آداب الشيعة.

(٢) بحار الأنوار: ج٨٢ ص١٦١ ب٢٩ ذيل ح١٨.

(٣) مشكاة الأنوار: ص٦٦ الفصل الثالث في آداب الشيعة.

(٤) سورة التوبة: ٥٥.

قط»[1].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «يا معشر شيعة آل محمد عليه وعليهم السلام كونوا النمرقة الوسطى، إليكم يرجع الغالي، وبكم يلحق التالي»، فقال رجل: جعلت فداك وما الغالي؟ قال: «قوم يقولون فينا ما لانقوله في أنفسنا، فليس أولئك منا ولسنا منهم» قال: فما التالي؟ قال: «المرتاد يريد الخير يبلغه الخير ويؤجر عليه، ثم أقبل علينا فقال: «والله ما معنا من الله براءة وما بيننا وبين الله قرابة ولا لنا على الله حجة ولا يتقرب إلى الله إلا بالطاعة، فمن كان منكم مطيعا نفعته ولايتنا، ومن كان منكم عاصيا لم تنفعه ولايتنا»[2].

وعن عمر بن أبان قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «يا معشر الشيعة إنكم قد نُسبتم إلينا، كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا (علينا) شينا، كونوا مثل أصحاب علي رضوان الله عليه في الناس، إن كان الرجل منهم ليكون في القبيلة فيكون إمامهم ومؤذنهم وصاحب أماناتهم وودائعهم»[3].

وعن علي بن يقطين قال: قال أبو الحسن موسى عليه السلام:

«مر أصحابك أن يكفوا من ألسنتهم ويدعوا الخصومة في الدين

---

(١) سورة طه: ١٣١.

(٢) مشكاة الأنوار: ص٦٦ – ٦٧ الفصل الثالث في آداب الشيعة.

(٣) بحار الأنوار: ج٨٥ ص١١٩ ب٢ ح٨٣.

ويجتهدوا في عبادة الله، وإذا قام أحدهم في صلاة فريضة فليحسن صلاته وليتم ركوعه وسجوده ولا يشغل قلبه بشيء من أمور الدنيا، فإني سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

إن ملك الموت يتصفح وجوه المؤمنين من عند حضور الصلوات المفروضات»[1].

وعن الكاظم عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: «إن علي بن الحسين عليه السلام أخذ بيدي جدي ثم قال: يا بني افعل الخير إلى كل من طلبه منك، فإن كان أهله فقد أصبت موضعه، و إن لم يكن بموضع كنت أهله، و إن شتمك رجل عن يمينك ثم تحول إلى يسارك فاعتذر إليك فاقبل منه»[2].

وعن جعفر بن كليب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «اتقوا الله وتحابوا وتزاوروا وتواصلوا وتراحموا وكونوا إخوانا بررة»[3].

وقال أبو جعفر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا زعيم ببيت في الجنة لمن حسن خلقه مع الناس، وترك الكذب في المزاح والجد، وترك المراء وهو محق»[4].

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٤ ص١٠٢ ب٢ ح٤٢٣٦.

(٢) مشكاة الأنوار: ص٦٩ الفصل الثالث في آداب الشيعة.

(٣) مشكاة الأنوار: ص٧٠ الفصل الثالث في آداب الشيعة.

(٤) مشكاة الأنوار: ص٧٠ الفصل الثالث في آداب الشيعة.

وعن أبي إبراهيم عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حسن الخلق يثبت المودة، وحسن البشر يذهب السخيمة، واستنزلوا الرزق بالصدقة، ومن أيقن بالخلف سخت نفسه بالنفقة، وإياك أن تمنع حقا فتنفق في باطل مثليه»[1].

وعن علي بن زيد عن أبيه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «ليس من شيعتنا من كان في مصر فيه مائة ألف وكان في المصر أورع منه»[2].

وعن أبي الصامت الخولاني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مررت أنا وأبي على الشيعة وهم ما بين القبر والمنبر، فقلت لأبي، جعفر عليه السلام: مواليك جعلني الله فداك، قال: وأين تراهم، فقلت: أراهم ما بين القبر و المنبر، فقال اذهب بي إليهم، فذهبنا فسلم عليهم ثم قال: إني لأحب ريحكم وأرواحكم، فأعينوني على ما أنتم عليه بالورع والاجتهاد، فإنه لا ينال ما عند الله إلا بالورع والاجتهاد، والله إنكم على ديني ودين آبائي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق»[3].

وعن محمد بن عمر بن حنظلة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «ليس من شيعتنا قال بلسانه وخالفنا في أعمالنا وآثارنا ولم يعمل بأعمالنا، ولكن شيعتنا من وافقنا بلسانه وقلبه واتبع آثارنا وعمل بأعمالنا،

---

(١) مشكاة الأنوار: ص٧٠ الفصل الثالث في آداب الشيعة.

(٢) مشكاة الأنوار: ص٧٠ الفصل الثالث في آداب الشيعة.

(٣) مشكاة الأنوار: ص٧٤ الفصل الثالث في آداب الشيعة.

أولئك شيعتنا»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مثل المؤمن عند الله كمثل ملك مقرب، وإن المؤمن عند الله لأعظم من ذلك، وليس شيء أحب إلى الله من مؤمن تائب ومؤمنة تائبة»[2].

وعنه الإمام الصادق عليه السلام قال: «امتحنوا شيعتنا عند ثلاث: عند مواقيت الصلاة كيف محافظتهم عليها، وعند أسرارهم كيف حفظهم لها عن عدونا، وإلى أموالهم كيف مواساتهم لإخوانهم فيها»[3].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «إنما شيعة علي الشاحبون الناحلون الذابلون، ذابلة شفاههم، خميصة بطونهم، متغيرة ألوانهم، مصفرة وجوههم، إذا جن الليل اتخذوا الأرض فراشا، واستقبلوا الأرض بجباههم، كثير سجودهم، كثيرة دموعهم، كثير دعاؤهم، كثير بكاؤهم، يفرح الناس وهم محزونون»[4].

وقال الباقر عليه السلام: «سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن خيار العباد؟ فقال: الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساءوا استغفروا، وإذا أعطوا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا غفروا»[5].

---

(١) مستطرفات السرائر: ص٦٣٩.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٧٥ ب٨٦ ح٢١٠٢١.

(٣) بحار الأنوار: ج٨٠ ص٢٢ ب٦ ح٤٠.

(٤) وسائل الشيعة: ج١ ص٩٠ ب٢٠ ح٢١٤.

(٥) الكافي: ج٢ ص٢٤٠ باب المؤمن وعلاماته وصفاته ح٣١.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدنيا بجملتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني، وذلك أنه قضي فانقضى على لسان النبي الأمي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: يا علي لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق»[1].

وقال علي بن الحسين عليه السلام: «إذا قام قائمنا أذهب الله عن شيعتنا العاهة وجعل قلوبهم كزُبَر الحديد وجعل قوة الرجل منهم قوة أربعين رجلا ويكونون حكام الأرض وسنامها»[2]. وقال الباقر عليه السلام: «ما من عبد من شيعتنا يقوم إلى الصلاة إلا اكتنفته بعدد من خالفه ملائكة يصلون خلفه يدعون الله حتى يفرغ من صلاته»[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحبنا أهل البيت فليحمد الله على أول النعم» قيل: وما أول النعم؟ قال: «طيب الولادة، ولا يحبنا إلا من طابت ولادته»[4].

وقال الباقر عليه السلام: «من أصبح يجد برد حبنا على قلبه فليحمد الله على بادئ النعم، قيل: وما بادئ النعم؟ قال: طيب الولادة»[5].

---

(١) نهج البلاغة: حكم أمير المؤمنين عليه السلام ٤٥.

(٢) الخصال: ج٢ ص٥٤١ أبواب الأربعين فما فوقه ح١٤.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج١ ص٢٠٩ باب فضل الصلاة ح٦٢٩.

(٤) بحار الأنوار: ج٢٧ ص١٤٥ – ١٤٦ ب٥ ح٣.

(٥) الأمالي للصدوق: ص٤٧٥ المجلس٧٢ ح١٢.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ وتلا هذه الآية: ﴿**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾ [1] ثم التفت إليه فقال: يا ابن أم سليم ترى فيمن أنزلت هذه الآية فينا وفي شيعتنا، قلت ومن يدعي الإسلام ليس من شيعتكم، قال: نعم تباعدهم من الإسلام عداوتهم لأهل بيتي وتقربهم من اليهودية والنصرانية»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «من رزقه الله حب الأئمة من أهل بيتي فقد أصاب خير الدنيا والآخرة فلا يشكن أنه في الجنة، وإن في حب أهل بيتي عشرين خصلة، عشر منها في الدنيا، وعشر في الآخرة، أما في الدنيا: فالزهد والحرص على العلم والورع في الدين والرغبة في العبادة والتوبة قبل الموت والنشاط في قيام الليل واليأس مما في أيدي الناس والحفظ لأمر الله عزوجل ونهيه والتاسعة بغض الدنيا والعاشرة السخاء، وأما في الآخرة فلا ينشر له ديوان ولا ينصب له ميزان، ويُعطى كتابه بيمينه ويكتب له براءة من النار ويبيض وجهه ويُكسى من حلل الجنة ويشفع في مائة من أهل بيته وينظر الله عزوجل إليه بالرحمة ويتوج من تيجان الجنة والعاشرة يدخل الجنة بغير حساب فطوبى لمحبي

---

(١) سورة الرعد: ٢٨.

(٢) مشكاة الأنوار: ص٩١ الفصل الخامس.

أهل بيتي»[1]. وعن أبي الصامت الخولاني قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يا أبا الصامت إن الله خلق شيعتنا من طينة مخزونة لا يزيد فيهم واحد ولا ينقص منهم واحد إلى يوم القيامة، وإن الرجل من شيعتنا ليمر بالبقعة من بقاع الأرض فيصلي عليها أو يمشي عليها فتفتخر تلك البقعة على البقاع التي حولها فتقول مر علي رجل من شيعة آل محمد»[2].

وعن منصور بن عمرو بن الحمق الخزاعي قال: أغمي على أمير المؤمنين عليه السلام حين ضربه ابن ملجم لعنه الله، فأفاق وهو يقول: «طوبى لهم وطوبى لكم وطوباهم أفضل من طوباكم»، قال: قلت: صدقت يا أمير المؤمنين طوباهم برؤيتك وطوبانا بالجهاد معك وطوبانا بطاعتك، ومن هؤلاء الذين طوباهم أفضل من طوبانا؟ قال عليه السلام: «أولئك شيعتي الذين يأتون من بعدكم يطيقون ما لا تطيقون ويحملون ما لاتحملون»[3].

الشيعة في يوم القيامة

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «يخرج أهل ولايتنا يوم القيامة مشرقة وجوههم، قريرة أعينهم، وقد أعطوا الأمان مما يخاف الناس ولا يخافون، ويحزن الناس ولا يحزنون، والله ما يشعر أحد منكم يقوم إلى

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٧ ص٧٨ -٧٩ ب٤ ح١٢.

(٢) مشكاة الأنوار: ص٩١ الفصل الخامس.

(٣) مشكاة الأنوار: ص٩٦ الفصل الخامس.

الصلاة إلا وقد اكتنفته الملائكة يصلون عليه، ويدعون له حتى يفرغ من صلاته، ألا وإن لكل شيء جوهرا وإن جوهر بني آدم محمد ونحن وشيعتنا، يا حبذا شيعتنا ما أقربهم من عرش الله وأحسن صنع الله إليهم يوم القيامة، والله لولا زهوهم لعظم ذلك لسلمت عليهم الملائكة قبلا»[1].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إن الله وملائكته وأرواح النبيين يستغفرون للشيعة، ويصلون عليهم إلى يوم القيامة»[2].

وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا لا حساب عليهم، ثم التفت إلى علي عليه السلام فقال: هم من شيعتك وأنت إمامهم»[3].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن في يمين العرش منابر من نور، عليها رجال وجوههم من نور، ليسوا بأنبياء ولا شهداء، قال: فقال له عمر بن الخطاب: فمن هؤلاء يا رسول الله؟ قال: هم الذين تواصوا في الله، وتواخوا في الله، وتواصلوا في الله، وتحابوا في الله، فدخل علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: هم شيعة هذا و أشار إلى علي عليه السلام»[4].

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٥ ص٦٦ ب١٥ ح١١٩.

(٢) مشكاة الأنوار: ص٩٤ الفصل الخامس.

(٣) بحار الأنوار: ج٢٧ ص١٤٢ ب٤ ح١٥٠.

(٤) مشكاة الأنوار: ص٩٧ الفصل الخامس.

وعن علي بن حمران عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «خرجت أنا وأبي ذات يوم فإذا هو بأناس من أصحابنا بين القبر و المنبر، فدنا منهم وسلّم عليهم ثم قال: والله إني لأحب ريحكم وأرواحكم، فأعينونا على ذلك بورع واجتهاد، واعلموا أن ولايتنا لا تنال إلا بالورع والاجتهاد، إذا ائتم أحدكم بعبد فليعمل بعمله، أنتم شيعة الله وأنتم شرطة الله وأنصار الله وأنتم السابقون الأولون والسابقون الآخرون، السابقون في الدنيا إلى ولايتنا، والسابقون في الآخرة إلى الجنة، قد ضمنا لكم الجنة بضمان الله وضمان رسول الله، أنتم الطيبون ونساؤكم الطيبات، كل مؤمنة حوراء وكل مؤمن صديق»[1].

وقال جابر: كنت ذات يوم عند النبي صلى الله عليه وآله إذ أقبل بوجهه على علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: ألا أبشرك يا أبا الحسن! قال: بلى يا رسول الله، قال: هذا جبرئيل يخبرني عن الله عزوجل أنه أعطى شيعتك ومحبيك سبع خصال: الرفق عند الموت، والأنس عند الوحشة، والنور عند الظلمة، والأمن عند الفزع، والقسط عند الميزان، والجواز على الصراط، ودخول الجنة قبل سائر الناس يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم»[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «يا علي شيعتك هم الفائزون

---

(١) مشكاة الأنوار: ص٩٢ الفصل الخامس.

(٢) مشكاة الأنوار: ص٨٦ الفصل الرابع.

يوم القيامة، فمن أهان واحدا منهم فقد أهانك، ومن أهانك فقد أهانني، ومن أهانني أدخله الله نار جهنم وبئس المصير، يا علي أنت مني وأنا منك، روحك من روحي، وطينتك من طينتي، وشيعتك خلقوا من فضل طينتنا، فمن أحبهم فقد أحبنا، ومن أبغضهم فقد أبغضنا، ومن عاداهم فقد عادانا، ومن ودّهم فقد ودّنا، يا علي شيعتك مغفور لهم على ما كانوا من ذنوب وعيوب، يا علي أنا الشفيع لشيعتك غداً إذا قمت المقام المحمود، فبشرهم بذلك يا علي، شيعتك شيعة الله وأنصارك أنصار الله وأولياؤك أولياء الله وحزبك حزب الله، سعد من تولاك، وشقي من عاداك، يا علي لك كنز في الجنة وأنت ذو قرنيها»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك و تعالى يبعث أناسا وجوههم من نور، على كراسي من نور، عليهم ثياب من نور، في ظل العرش بمنزلة الأنبياء وليسوا بالأنبياء، وبمنزلة الشهداء وليسوا بالشهداء».

فقال رجل: أنا منهم يا رسول الله؟ قال: لا.

قال الآخر: أنا منهم يا رسول الله؟ قال: لا.

قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: فوضع يده على رأس علي بن أبي طالب وقال: هذا وشيعته»[2].

---

(١) مشكاة الأنوار: ص٨٠ الفصل الرابع في منزلة الشيعة عند الله ...

(٢) بشارة المصطفى: ص٣٢.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تستخفوا بفقراء شيعة علي وعترته من بعده، فإن الرجل منهم ليشفع في مثل ربيعة ومضر»[1].

وعن هذيل السابري قال: قال أبو جعفر عليه السلام: قال علي عليه السلام: «أسندني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى صدره ثم قال: يا أخي سمعت قول الله ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾[2] هم أنت وشيعتك تقدمون علي غراً محجلين ويقدم عدوكم سودا مقمحين، قالها ثلاث مرات»[3].

حب أهل البيت عليهم السلام والعمل

من هذه الروايات الشريفة يستفاد أن حب أهل البيت عليهم السلام وولايتهم هو الأساس في قبول الأعمال، ولكنه مشروط بالعمل الصالح والتقوى.

قال تعالى: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾[4].

وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «..إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: لا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل يزداد فيها كل يوم إحساناً، ورجل يتدارك منيته بالتوبة، وأنى له بالتوبة؟! فو الله، أن لو

---

(١) الأمالي للصدوق: ص٣٠٧ المجلس الخمسون ح١٦.

(٢) سورة البينة: ٧.

(٣) مشكاة الأنوار: ص٩١ الفصل الخامس.

(٤) سورة المائدة: ٢٧.

سجد حتى ينقطع عنقه ما قبل الله عزوجل منه عملاً إلا بولايتنا أهل البيت، ألا ومن عرف حقنا أو رجا الثواب بنا، ورضي بقوته نصف مد كل يوم، وما يستر به عورته، وما أكن به رأسه، وهم مع ذلك والله خائفون وجلون، ودّوا أنه حظهم من الدنيا، وكذلك وصفهم الله عزوجل حيث يقول: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[1] ما الذي أتوا به؟ أتوا والله بالطاعة مع المحبة والولاية، وهم في ذلك خائفون أن لا يقبل منهم، وليس والله خوفهم خوف شك فيما هم فيه من إصابة الدين؛ ولكنهم خافوا أن يكونوا مقصرين في محبتنا وطاعتنا»[2].

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[3] قال: «هم الأئمة عليهم السلام»[4].

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «ليس في الدنيا نعيم حقيقي» فقال له بعض الفقهاء ممن يحضره: فيقول الله عزوجل: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[5]، أما هذا النعيم في الدنيا، وهو الماء البارد؟ فقال له الرضا عليه السلام وعلا صوته: «كذا فسرتموه أنتم وجعلتموه على

---

(١) سورة المؤمنون: ٦٠.

(٢) الكافي: ج٨ ص١٢٨ حديث نادر ح٩٨.

(٣) سورة الشورى: ٢٣.

(٤) الكافي: ج١ ص٤١٣ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية ح٧.

(٥) سورة التكاثر: ٨.

ضروب؟»، فقالت طائفة: هو الماء البارد. وقال غيرهم: هو الطعام الطيب. وقال آخرون: هو النوم الطيب[1].

قال الرضا عليه السلام: «ولقد حدثني أبي عليه السلام عن أبيه أبي عبد الله الصادق عليه السلام: أن أقوالكم هذه ذكرت عنده في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[1] فغضب عليه السلام وقال: إن الله عزوجل لا يسأل عباده عما تفضل عليهم به، ولا يمن بذلك عليهم؛ والامتنان بالإنعام مستقبح من المخلوقين، فكيف يضاف إلى الخالق عزوجل ما لا يرضى المخلوق به، ولكن النعيم حبنا أهل البيت وموالاتنا، يسأل الله عباده عنه بعد التوحيد والنبوة؛ لأن العبد إذا وفى بذلك أداه إلى نعيم الجنة الذي لا يزول.. »[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «..ومن سرّه أن يعلم أن الله يحبه فليعمل بطاعة الله وليتبعنا ألم يسمع قول الله عزوجل لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3] والله لا يطيع الله عبد أبدا إلا أدخل الله عليه في طاعته اتباعنا، ولا والله لا يتبعنا عبد أبداً إلا أحبه الله، ولا والله لا يدع أحد اتباعنا أبدا إلا أبغضنا، ولا والله لا يبغضنا أحد أبداً إلا عصى الله، ومن

---

(١) سورة التكاثر: ٨.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص١٢٩ ب٣٥ ح٨.

(٣) سورة آل عمران: ٣١.

مات عاصيا لله أخزاه الله وأكبه على وجهه في النار»[1].

نعم، كما أن حب أهل البيت عليهم السلام واجب، ولا يدخل الجنة من يبغضهم، وبحبهم ينال الإنسان الثواب كما في الروايات الكثيرة، إلا أن ترك العمل بتعاليمهم ووصاياهم يصل بالإنسان إلى عقاب الله، بل الأكثر من ذلك أن الإنسان الذي يعرف فضل أهل البيت عليهم السلام ويعرف منزلتهم ويحبهم لذلك، وهو لا يمتثل لما يأمرون به، بل يعمل على عكس ذلك فعتابه عند الله تعالى أشد، بل إن المحبة الحقيقية التي هي مورد الروايات لا تعني إلا أن يكون المحب محباً من جميع الجهات، ومنها فعل ما أمره وترك ما نهاه، وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما أحب الله من عصاه» ثم تمثل:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا محال في الفعال بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع[2]

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه: «إن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله، بل الحجة عليه

---

(١) الكافي: ج٨ ص١٤ كتاب الروضة.. ح١.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٣٠٨ ب٤١ ح٢٠٥٩٦. ونسبت الأبيات إلى الشاعر أبي العتاهية (١٣٠- ٢١١هـ) وهو إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي، من شعراء العصر العباسي.

أعظم، والحسرة له ألزم، وهو عند الله ألوم»[1].

فالميزان ليس في تعلم العلم فقط، وإنما المهم في ذلك هو تطبيق العلم الذي تعلمه الإنسان حتى ينتفع بعلمه ويؤجَر ويثاب عليه، وإلا فيكون ذلك العلم حجة عليه كما يقول الإمام عليه السلام: «من لم يعمل بالعلم كان حجة عليه ووبالاً»[2].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «قوام الدنيا بأربع: عالم يعمل بعلمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم، وغني يجود بماله على الفقراء، وفقير لايبيع آخرته بدنياه، فإذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل أن يتعلم، وإذا بخل الغني بماله باع الفقير آخرته بدنياه»[3].

التقوى والقانون

تُنظّم حياة البشر مجموعة من القوانين والنُظُم، وقد اختلف الناس في أصل هذه القوانين أي من وضع القانون الأول في الحياة؟ فاختلفوا إلى مذاهب وآراء كثيرة، لو أردنا ذكرها لطال بنا المقال، فنتوقف هنا على رأي الإلهيين في ذلك، وهو:

---

(١) نهج البلاغة، الخطب: ١١٠ من خطبة له عليه السلام في أركان الإسلام وفضل القرآن.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٥٢ ق١ ب٦ ف٤ ح٢٨٢٨.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٧١ ق٥ ب٣ ف٨ ح٨٤١٥.

أن الواضع الأول للقانون هو الله تعالى، بمعنى أن الله تعالى عندما خلق الإنسان جعل معه نظاماً لكل شيء، وأنزل له كتباً ودساتير بواسطة أنبيائه عليهم السلام تنظم له حياته بما يناسب المستوى الفكري لكل أمة من الأمم، إلى أن وصل الحال إلى زمن نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فأنزل عليه القرآن العظيم، وفيه الإحاطة التامة الكاملة بكل احتياجات الإنسان إلى قيام الساعة، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ (١).

والقانون: هو الضابط المهم للحياة، حيث إنه يضمن الحريات لجميع البشر، كما يضمن تأمين النظام والسلام، وبه تتحقق العدالة بصورة عامة، فالقانون الإسلامي وضع على أساس العدالة والرحمة الربانية، ومضامين هذا القانون تعكس القواعد الأخلاقية التي رعاها الواضع عزوجل فيها.

وهذا الكلام هو في القانون الإلهي، لأن القانون الوضعي فيه كثيراً من الهفوات والأخطاء، إذ أصبح بيد جماعة من المستفيدين فربما يضعون فقرات القانون حسب أهوائهم، وتماشياً مع مصالحهم، وربما يخطئون في تشخيص المصالح والمفاسد، بخلاف القانون الإلهي فهو بعيد عن الأهواء والمصالح الخاصة والأخطاء، فإنه صادر من الله العالم بكل شيء، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلا

(١) سورة الكهف: ٥٤.

وَحْيٌ يُوحَى﴾[1]

ومن فقرات هذا القانون الإلهي: التقوى، يعني أن يكون الإنسان مرتبطاً بالله تعالى في كل أعماله، وعن طريق الارتباط بالله تعالى يحصل الإنسان على الترتيب والتنظيم في دنياه وفي آخرته، فالإنسان المرتبط بالله (المتقي) تجده سعيداً في الدنيا والآخرة؛ لأن الالتزام بالقوانين الإلهية توجب السعادة في الدنيا والآخرة، حيث إنها شرعت حسب مصالح الإنسان الواقعية، فإذا تابعها كان سعيداً، وإلا فقد خسر في الدنيا والآخرة. قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾[2].

وجاء في رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «اعلموا عباد الله، أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركوا أهل الدنيا في آخرتهم»[3].

فلنكن من المتقين لنفوز في الدنيا والآخرة، ولا ينبغي أن نترك الآخرة للدنيا فإنها فانية، والناس جميعهم سوف يوارون في التراب، وستغلق صحائف أعمالهم، فلا الذين قبلنا خلدوا في الدنيا، ولا نحن

---

(١) سورة النجم: ٣ ـ ٤.

(٢) سورة الطلاق: ٢، ٣.

(٣) نهج البلاغة، الكتب: ٢٧ من عهد لـه عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر.

الخالدون، ولا من يأتي بعدنا، فالجميع راحلون، كما قال الشاعر:

الموت باب وكل الناس داخله

فليت شعري بعد الباب ما الدار؟

الدار جنة خلدٍ إن عملت بما

يرضي الإله وإن قصرت فالنار[1]

لذا علينا أن نتذكر دائماً بأننا نرحل من هذه الدنيا عاجلاً أم آجلاً، وهذا هو ما نص عليه القانون الإلهي في الكون، بأن الحياة فانية، والدار الآخرة هي الباقية، ففي خطبة لإمام المتقين عليه السلام قال فيها واصفاً الدنيا: «فإن الدنيا لم تخلق لكم دار مقام، بل خلقت لكم مجازا، لتزوَّدوا منها الأعمال إلى دار القرار»[2].

فلنتزود بالتقوى لأنها أفضل الأعمال وهي الأساس في الأخلاق المثالية. قال أمير المؤمنين عليه السلام عندما سُئل: أي علم أفضل؟ قال: «التقوى»[3].

ولنتزود بالتقوى، لأنها أفضل زاد في الدنيا والآخرة، كما وصفها إمام المتقين عليه السلام حيث قال لما دخل المقابر: «يا أهل التربة، ويا أهل الغربة، أما الدور فقد سكنت، وأما الأزواج فقد نكحت، وأما الأموال

---

(١) الأبيات للشاعر أبي العتاهية.

(٢) نهج البلاغة، الخطب: ١٣٢ من خطبة لـه عليه السلام يعظ فيها ويزهد في الدنيا.

(٣) بحار الأنوار: ج٦٧ ص٢٨٨ ب٥٦ ح١٦.

فقد قسمت، فهذا خبر ما عندنا، وليت شعري ما عندكم؟» ثم التفت إلى أصحابه، وقال: «لو أذن لهم في الجواب لقالوا: إن خير الزاد التقوى»[1].

العبادة والتقوى

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن الناس يعبدون الله على ثلاثة أوجه: فطبقة يعبدونه رغبة في ثوابه فتلك عبادة الحرصاء، وهو الطمع، وآخرون يعبدونه فرقا من النار فتلك عبادة العبيد، وهي رهبة، ولكنّي أعبده حباً له عز وجل، فتلك عبادة الكرام، وهو الأمن لقوله عزوجل: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾[2] ولقوله عزوجل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[3] فمن أحب الله أحبه الله، ومن أحبه الله عز وجل كان من الآمنين»[4].

وقال الإمام السجاد عليه السلام: «إني أكره أن أعبد الله لأغراض لي ولثوابه، فأكون كالعبد الطمع المطيع، إن طمع عمل، وإلا لم يعمل، وأكره أن أعبده لخوف عقابه؛ فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج١ ص١٧٩ باب التعزية والجزع عند المصيبة ح٥٣٥.

(٢) سورة النمل: ٨٩.

(٣) سورة آل عمران: ٣١.

(٤) بحار الأنوار: ج٦٧ ص١٩٧ ب٥٣ ضمن ح٢.

يعمل»، قيل: فلم تعبده؟ قال: «لما هو أهله بأياديه عليّ وإنعامه»[1].

وقال الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: «لا يكون العبد عابداً لله حق عبادته حتى ينقطع عن الخلق كله إليه، فحينئذ يقول: هذا خالص لي فيتقبله بكرمه»[2].

قال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾[3].

إذاً تنقسم دوافع الناس في عبادتهم لله سبحانه إلى أقسام ثلاثة هي:

أولاً: الخوف، حيث إن بعض الناس يعبدون الله خوفاً من عذابه، فإن طبيعة الإنسان يحرص على أن يتجنب الوقوع في المهالك والأخطار، وبما أن الله تعالى حذّر الإنسان ووعده بالعذاب في حالة عصيانه، حيث قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾[4] وغيرها في كثير من الآيات والروايات في هذا الجانب، فنلاحظ أغلب الناس يعبدون الله تعالى خوفاً من عذابه.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٧ ص١٩٨ ب٥٣ ضمن ح٢.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١ ص١٠١ ب٨ ح٩١.

(٣) سورة الأنعام: ١٠٢.

(٤) سورة آل عمران: ٢٨.

(٥) سورة الأنعام: ١٥.

فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾[2].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الخوف من الله في الدنيا يؤمن الخوف في الآخرة»[3].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «هيهات أن ينجو الظالم من أليم عذاب الله وعظيم سطواته»[4].

ثانياً: الطمع، فإن هناك من الناس مَن يعبد الله طمعاً في الحصول على الثواب، فكلما فكر فيما وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات، من النعمة والكرامة وحُسن العاقبة ازداد طمعاً، وبالغ في التقوى والتزم بعمل الخير، وترك عمل الشر، وذلك طمعاً في المغفرة والجنة والنعم والأجر الأخروي، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[5]. كما تبين ذلك الآيات والروايات كثيرة في هذا الشأن.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ

---

(١) سورة مريم: ٤٥.

(٢) سورة غافر: ٣٢.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٣٦ ب١٤ ضمن ح١٢٨٤٦.

(٤) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص١٠١ ب٧٧ ضمن ح١٣٦٢٩.

(٥) سورة الفتح: ٢٩.

ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ۝ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ۝ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ۝وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ۝ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ۝ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ۝ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ۝ لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ ۝ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ۝ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ۝ وَحُورٌ عِينٌ۝ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ۝ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [4].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «انتفعوا ببيان الله واتعظوا بمواعظ الله واقبلوا نصيحة الله، فإن الله قد أعذر إليكم بالجلية واتخذ عليكم الحجة وبين لكم محابه من الأعمال ومكارهه منها؛ لتتبعوا هذه وتجتنبوا هذه، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: إن الجنة حفت بالمكاره، وإن النار حفت

---

(١) سورة التوبة: ٧٢.

(٢) سورة آل عمران: ١٥.

(٣) سورة ص: ٥١.

(٤) سورة الواقعة: ١٠ ـ ٢٤.

بالشهوات، واعلموا، أنه ما من طاعة الله شيء إلا يأتي في كره، وما من معصية الله شيء إلا يأتي في شهوة، فرحم الله امرأ نزع عن شهوته وقمع هوى نفسه، فإن هذه النفس أبعد شيء منزعاً، وإنها لا تزال تنزع إلى معصية في هوى. واعلموا عباد الله، أن المؤمن لا يصبح ولا يمسي إلا ونفسه ظنون عنده، فلا يزال زاريا عليها ومستزيدا لها، فكونوا كالسابقين قبلكم والماضين أمامكم، قوضوا من الدنيا تقويض الراحل وطووها طي المنازل»[1].

وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «قال الخضر لموسى عليه السلام: يا موسى إن أصلح يوميك الذي هو أمامك فانظر أي يوم هو وأعد له الجواب، فإنك موقوف ومسئول، وخذ موعظتك من الدهر فإن الدهر طويل قصير، فاعمل كأنك ترى ثواب عملك، ليكون أطمع لك في الآخرة، فإن ما هو آت من الدنيا كما هو قد ولى منها»[2].

ثالثاً: الحب، وهناك قسم ثالث من الناس ـ وما أقلهم ـ يُعتبرون خاصة الله في أرضه من أنبياء وأوصياء وصالحين، فهؤلاء هم العلماء بالله، لا يعبدون الله خوفاً من عذابه ولا طمعاً في ثوابه، وإنما يعبدونه حباً له حيث تكون قلوبهم مغمورة بالمحبة الإلهية، قال الله تعالى:

---

(١) نهج البلاغة، الخطب: ١٧٦ من خطبة له عليه السلام وفيها يعظ ويبين فضل القرآن وينهى عن البدعة.

(٢) الكافي: ج٢ ص٤٥٩ باب محاسبة العمل ح٢٢.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدّ حُبّاً لله﴾[1] وأصحاب هذا الطريق هم الأبرار الغالبون، ولهم ثواب عظيم في الآخرة، وفي أعلى عليين. ويأتي في قمة هؤلاء نبينا العظيم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرون عليهم السلام.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إلهي ما عبدتك خوفاً من عقابك، ولا طمعاً في ثوابك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»[2].

ويرى أصحاب هذا الطريق ـ حب الله تعالى ـ أن عبادة الله تعالى خوفاً من عذابه، أو طمعاً في ثوابه، لا يشتمل على الدرجات العالية من الإخلاص؛ إذ لعل بعض هؤلاء لو وجدوا طريقاً موصلاً إلى الجنة، ويخلصهم من عذاب الله تعالى لم يعبدوا الله تعالى، واستدلالهم على ذلك هو أن الإنسان الذي يعبد الله تعالى خوفاً من عذابه، يبعثه هذا الخوف على ترك المحرمات، فالزهد في الدنيا هو للفوز في الآخرة والنجاة من عذابها، وكذلك عبادته تعالى طمعاً في الثواب تبعث الإنسان على العبادة في الدنيا لنيل الآخرة.

من أخلاق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

أول قدوة في الأخلاق المثالية هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال الله تعالى

---

(١) سورة البقرة: ١٦٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٤١ ص١٤ ب١٠١ ضمن ح٤.

في كتابه الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] إن المتتبع لسيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يجد وبوضوح ما يتمتع به الرسول صلى الله عليه وآله من أخلاق فاضلة كريمة، فهو منبع الأخلاق، ويعد بحراً زاخراً من المثل العليا، والقيم الإنسانية، والفضائل الأخلاقية، في كل مناحي الحياة وجوانبها، فهو القائد المعلم، وهو الأب الروحي، وهو المرشد، وهو المصلح، وهو الأمين، إلى آخر قاموس الفضائل التي يعجز القلم عن الإحاطة بها. فالأخلاق المثالية في حياة الرسول صلى الله عليه وآله واضحة وجلية في مختلف زوايا الحياة وشاملة لجميع الناس، تجده مع الصديق والمحب أباً ومرشداً، ومع العدو معلماً منقذاً، فكان يعامل الكل صلى الله عليه وآله معاملة طيبة.

(١) سورة القلم: ٤.

عفو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فها هو وحشي[1] قاتل حمزة عليه السلام عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسنده القوي[2]

---

(١) هو وحشي بن حرب الحبشي مولى جبير بن مطعم. وقيل: مولى طعيمة بن عدي، وقيل: مولى لابنة الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف. قاتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله يوم أحد. وكانت هند بنت عتبة (عليها اللعنة) زوجة أبي سفيان قد أعطت وحشياً عهداً لئن قتلت محمداً أو علياً أو حمزة عليهم السلام لأعطينك رضاك، فقال وحشي: أما محمد فلا أقدر عليه، وأما علي فرأيته رجلاً حذراً كثير الالتفات، فلم أطمع فيه. قال: فكمنت لحمزة، فرأيته يهد الناس هداً، فمر بي فأخذت حربتي فهززتها ورميته فوقعت في خاصرته، وخرجت من مثانته مغمسة بالدم فسقط. وكان قد جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فأسلم، فقال لـه النبي صلى الله عليه وآله: «أوحشي»؟ قال: نعم. قال صلى الله عليه وآله: «أخبرني كيف قتلت عمي؟» فأخبره فبكى، وقال صلى الله عليه وآله: «غيب وجهك عني».

وكان وحشي بعد هذا يتنكب الطريق عن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث كان، فلم يره حتى قبضه الله تعالى.

روي أنه اشترك مع أبي دجانة الأنصاري في قتل مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة فكان يقول: قتلت خير الناس، وشر الناس. وخرج بعد ذلك إلى الشام، وكان يشرب الخمر ويلبس المعصفرات، وحد على شرب الخمر، وهو أول من حد في الشام على شرب الخمر. ينظر بحار الأنوار: ج٢٠ ص٥٥ ب١٢ غزوة أحد. وأسد الغابة: ج٥ ص٨٣ ترجمة وحشي.

(٢) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن لؤي بن غالب العدناني. أسد الله وأسد رسوله، أمه هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة، كنيته أبو عمارة، عم رسول الله صلى الله عليه وآله، وعم أمير المؤمنين علي عليه السلام، كان على ما كان عليه أبو طالب من الحمية في رسول الله صلى الله عليه وآله والذب عنه، ولم يظهر إسلامه إلى أن خرج يوما لصيد، ومر رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد الحرام ينادي قريشا، فنالوا منه، وكان أكثرهم قولا فيه أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي. وجاء حمزة من الصيد، فاخبر بذلك، فجاء مغضبا وهو متقلد قوسه حسب ما ←

→

كان في صيده، فكان من شأنه إذا دخل المسجد أن يبدأ فيطوف بالبيت، ثم يأتي نادي بني عبد المطلب، فيجلس فلم يلو على شيء حتى وقف على أبي جهل، فشجه شجة منكرة، وقال: أتشتم ابن أخي، فأنا على دينه أقول ما يقول. فاردد علي إن استطعت. فقام إليه رجال من بني مخزوم لينتصروا منه، فقام إليهم أبو جهل، وقال: دعوا أبا عمارة، فإني والله سببت ابن أخيه سبا قبيحا. وإنما فعل ذلك ليستميله لأن لا يسلم، فتمادى حمزة في الإسلام، وأتى رسول الله ﷺ وأظهر إسلامه، فعلم بنو عبد شمس أنه سيمنع من رسول الله ﷺ لما أن أسلم. وكان حمزة منيع الجانب من قريش، شديد العارضة، أبي النفس. فكف بنو عبد شمس من أذى النبي ﷺ، وعن شتمه، وأظهر حمزة الإسلام، ودخل في جملة أهله. وكان لا عقب له، وكان قد ولد لـه ولد سماه عمارة من امرأة بني النجار، ومات. وكانت لـه ابنة يقال لها: أم أبيها. وكان حمزة ﷺ قد رضع مع رسول الله ﷺ، أرضعتهما امرأة من مكة يقال لها: ثويبة، فقد ولدت آمنة لعبد الله رسول الله ﷺ وولدت هالة لعبد المطلب حمزة، فأرضعت منهما أبا سلمة ابن عبد الأسد. فكان رسول الله ﷺ يكرم ثويبة. هاجر حمزة مع رسول الله ﷺ إلى المدينة وشهد بدرا. وقتل حمزة يومئذ طعيمة بن عدي، وسبأ الخزاعي وجماعة من المشركين. كان يدعى: أسد الله وأسد رسوله، لنجدته وشجاعته وإقدامه، وشهد يوم أحد، فأبلى من المشركين بلاء شديدا، وقتل منهم عددا كثيرا، وقتل يومئذ عثمان بن أبي طلحة صاحب لواء المشركين. وكان إذا هجم يومئذ انفرجوا، ولم يقم أحد منهم لـه، فهجم في جماعة منهم، فافترقوا، وكان فيهم وحشي بن الحارث، فاستتر منه خلف شجرة، ولم يره حمزة ﷺ وسار مقدما أمامه في طلب المشركين. فرماه وحشي بحربة كانت معه، فأصاب مقتله فسقط، وأحاط به المشركون فمثلوا به لشدة ما أبلى فيهم وكثرة من قتل منهم. وكانت هند أم معاوية مع المشركين يومئذ تحرضهم على القتل، فلما أن قتل حمزة أتت إليه، فبقرت بطنه وأخذت قطعة من كبده، فرمتها في فمها ولاكتها، وأرادت أن تبلعها، فلم تستطع وألقتها. فقال النبي ﷺ: «أما إنها لو ابتلعتها حتى يخالط دم حمزة دمها لما طعمتها النار، ولكن أبى الله ذلك». ووقف عليه رسول الله ﷺ، واشتد حزنه عليه، وصبر رسول الله ﷺ على مصابه الأليم، فدفنه مع الشهداء في مصارعهم. ولما أن صار إلى المدينة سمع بكاء نساء الأنصار على
←

غدراً وغيلة، وقد مثل بجسده الطاهر ذلك التمثيل الشنيع الذي يقشعر بدن الإنسان من سماع وصفه، دون رؤيته حتى وصف رسول الله صلى الله عليه وآله يومها بأنه أشد يوم مرّ على قلبه الطاهر، ذلك القلب المليء بالحب والعطف والإنسانية، والبعيد كل البعد عن البغض والغلظة والكراهية، ذلك القلب العامل بالإيمان الذي لا يهمه شيء سوى مرضاة الله تعالى، ومع هذا كله عند ما جاء وحشي من وراء الرسول صلى الله عليه وآله وأعلن إسلامه، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، واشهد أن محمداً رسول الله. ماذا عمل به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وبماذا أجاب؟ التفت إليه صلى الله عليه وآله وقال: «من، وحشي؟! عفوت عنك»[1].

أيُّ أخلاق هذه! هذه هي أخلاق رسول الإنسانية، خير خلق الله تعالى، فقد كان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أجمع الناس لدواعي الرفعة

→

من قتل منهم، فقال صلى الله عليه وآله: «لكن حمزة لا بواكي لـه». فسمع ذلك الأنصار، واجتمع نساؤهم وآتين منزل رسول الله صلى الله عليه وآله، فجعلن يبكين حمزة، فخرج صلى الله عليه وآله فجزاهن خيراً، وأمرهن أن ينصرفن. شرح الأخبار: ج٣ ص٢٢٦ أولاد عبد المطلب، حمزة عليه السلام.

ومزار حمزة عند جبل أحد في المدينة المنورة وكان لـه مقام يقصده المؤمنون من كافة أنحاء العالم ومن جميع المذاهب، إلى أن سيطرة الوهابية على بلاد المسلمين فهدموا قبر حمزة وقبور الشهداء كما هدموا قبور الأئمة عليهم السلام في البقيع.

(١) روي: أنه لما أسلم قال لـه النبي صلى الله عليه وآله: «أوحشي؟» قال: نعم، قال صلى الله عليه وآله «أخبرني كيف قتلت عمي؟» فأخبره فبكى، وقال: «غيب وجهك عني». انظر مستدرك سفينة البحار: ج١٠ ص٢٦٣ باب الواو. وشرح الأخبار: ج١ ص٢٦٩ غزوة أحد.

والسمو. فقد كان أوسط الناس نسباً، وأنقاهم حسباً، وأسخاهم وأشجعهم وأزكاهم وأفصحهم، وما إلى ذلك من الصفات الحسنة[1].

تواضع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشد الناس تواضعاً، فعن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خمسٌ لا أدعهن حتى الممات: الأكل على الحضيض مع العبيد، وركوبي الحمار مؤكفاً، وحلبي العنز بيدي، ولبس الصوف، والتسليم على الصبيان؛ لتكون سنّةً من بعدي».[2]

وجاء في بحار الأنوار: أنه صلى الله عليه وآله كان أوسط الناس نسبا، وأوفرهم حسبا، وأسخاهم وأشجعهم وأزكاهم وأفصحهم، وهذه كلها من دواعي الترفع، ثم كان من تواضعه أنه كان يرقع الثوب، ويخصف النعل، ويركب الحمار، ويعلف الناضح، ويجيب دعوة المملوك، ويجلس في الأرض، ويأكل في الأرض، وكان يدعو إلى الله من غير زبر ولا كهر ولا زجر، ولقد أحسن من مدحه في قوله:

فما حملت من ناقة فوق ظهرها

---

(١) التي كان صلى الله عليه وآله يأخذ المرتبة العالية منها، فما من صفة إلا وترى قد استعملت صيغة التفضيل فيه: أعلم، أحلم، أفقه، وما إلى ذلك من الصفات.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٦٢ ب٣٥ ح١٥٦٥١.

أبـــرّ وأوفى ذمـــة من محمد[1]

قال الإمام أمير المؤمنين ﷺ واصفاً أخلاق الرسول ﷺ: «كان أجود الناس كفاً، وأجرأ الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفاهم ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه فعرفه أحبه، لم أرَ مثله، قبله ولا بعده»[2].

وأجاد من قال:

بلغ العلى بكمالـــــه كشف الدجى بجماله

حسنت جميع خصاله صلوا عليـــــه وآلـــه

هذه بعض خصال نبي الرحمة ﷺ التي يعجز اللسان عن ذكر بعضها فضلاً عن جميعها، والقلم عن الإحاطة بكتابتها على أن يعطي الحق الكامل لهذه الصفات.

فليتخلق المسلمون اليوم بأخلاق ذلك الرائد العظيم، ليفوزوا في الدنيا والآخرة. قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾[3].

---

(١) بحار الأنوار: ج١٦ ص١٩٩ ب٩ في مكارم أخلاقه وسيره وسننه ﷺ...

(٢) بحار الأنوار: ج١٦ ص٢٣١ ب٩ ضمن ح٣٥.

(٣) سورة الأحزاب: ٢١.

ذكر الشيخ الطبرسي رحمه الله في كتابه القيم مكارم الأخلاق [1]: فوجدت في كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام ما يحتوي على حقيقة سير الأنبياء عليهم السلام، وهي الانقطاع بالكل عن الناس إلى الله، في الرجاء والخوف، وعن الدنيا إلى الآخرة. وخص من جملتهم نبينا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بكمال هذه السيرة وحثنا ورغبنا على الاقتداء به فقال عليه السلام بعد كلام له طويل لمدع كاذب يدعي بزعمه أنه يرجو الله:

«كذب والعظيم ما باله، ولا يتبين رجاؤه في عمله، وكل من رجا

---

(١) مكارم الأخلاق لمؤلفه رضي الدين حسن بن فضل الطبرسي من علماء القرن السادس الهجري. وهو ابن أمين الإسلام الطبرسي صاحب تفسير مجمع البيان. استلهاما من وحي قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، أي: إن الهدف من بعثته صلى الله عليه وآله هو بيان وتتميم الأخلاق الفاضلة؛ لأن الإسلام دين يعطي للأخلاق أهمية كبيرة، سواء الأخلاق الفردية أو الأخلاق الاجتماعية. و لهذا فإنه ـ وعلى مدى تأريخ الإسلام ـ قد ألفت كتب كثيرة في مجال الأخلاق، ونظراً للرواية المذكورة آنفاً فإن كثيراً من العلماء الكبار قد جعلوا عناوين كتبهم (مكارم الأخلاق)، منهم: أبو جعفر محمد البرقي، ومير سيد علي الهمداني، وأبو جعفر محمد النيشابوري، وغياث الدين البلخي، والسيد محمد نور بخش، والسيد عبد الله شبر صاحب التفسير المعروف. وكتاب (مكارم الأخلاق) للشيخ الجليل القدر رضي الدين الطبرسي من أكثر الكتب في هذا الموضوع شهرة. وهذا الكتاب يحتوي على اثني عشر باباً، وترجم الكتاب إلى لغات عدة، وحاول بعض المنحرفين تحريف الكتاب من خلال الحذف والإضافة والتغيير بغية تشويه سمعة الشيعة، وقد تنبه لذلك العلماء فقاموا بفضحهم وتنبيه الناس إلى ذلك. وبعد الاطلاع على هذه المؤامرة المشئومة، جمعت بأمر الميرزا الشيرازي الكبير في سنة (١٣١٤هـ) جميع النسخ الخطية والقديمة للكتاب، وقام الحاج الشيخ محمود البروجردي بتطبيق الكتاب مع هذه النسخ، ثم طبع الكتاب بدقة تامة في التصحيح وبشكل جميل.

عرف رجاؤه في عمله إلا رجاء الله ؛ فإنه مدخول، وكل خوف متحقق إلا خوف الله فإنه معلول، يرجو الله في الكبير ويرجو العباد في الصغير، فيعطي العبد ما لا يعطي الرب، فما بال الله جل ثناؤه يقصر به عما يصنع بعباده، أتخاف أن تكون في رجائك له كاذباً، أو تكون لا تراه للرجاء موضعاً، وكذلك إن هو خاف عبدا من عبيده أعطاه من خوفه ما لا يعطي ربه، فجعل خوفه من العباد نقدا وخوفه من خالقه ضماراً ووعداً، وكذلك من عظمت الدنيا في عينه وكبر موقعها في قلبه، آثرها على الله فانقطع إليها، وصار عبدا لها، ولقد كان في رسول الله ﷺ كاف لك في الأسوة، ودليل على ذم الدنيا وعيبها، وكثرة مخازيها ومساويها، إذ قبضت عنه أطرافها ووطئت لغيره أكنافها، وفطم عن رضاعها، وزوي عن زخارفها، وإن شئت ثنيت بموسى كليم الله عليه السلام، إذ يقول: ﴿رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[1] والله، ما سأله إلا خبزا يأكله ؛ لأنه كان يأكل بقلة الأرض، ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله، وتشذب لحمه، وإن شئت ثلثت بداود صاحب المزامير، وقارئ أهل الجنة، فلقد كان يعمل من سفائف الخوص بيده، ويقول لجلسائه أيكم يكفيني بيعها، ويأكل قرص الشعير من ثمنها، وإن شئت قلت في عيسى ابن مريم عليه السلام فلقد كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن، وكان إدامه الجوع، وسراجه بالليل

(١) سورة القصص: ٢٤.

القمر، وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها، وفاكهته وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم، ولم تكن له زوجة تفتنه، ولا ولد يحزنه، ولا مال يلفته، ولا طمع يذله، دابته رجلاه وخادمه يداه. فتأس بنبيك الأطيب الأطهر ﷺ فإن فيه أسوة لمن تأسى، وعزاء لمن تعزى، وأحب العباد إلى الله المتأسي بنبيه، والمقتص لأثره، قضم الدنيا قضماً، ولم يعرها طرفاً، أهضم أهل الدنيا كشحا، وأخمصهم من الدنيا بطنا، عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها، وعلم أن الله أبغض شيئا فأبغضه، وحقّر شيئا فحقره، وصغّر شيئا فصغره، ولو لم يكن فينا إلا حبنا ما أبغض الله، وتعظيمنا ما صغر الله، لكفى به شقاقا لله، ومحادة عن أمر الله، ولقد كان ﷺ يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه، ويركب الحمار العاري، ويردف خلفه، ويكون الستر على باب بيته تكون فيه التصاوير فيقول: يا فلانة، لإحدى أزواجه، غيبيه عني؛ فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها، فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها من نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه، لكيلا يتخذ منها رياشا، ولا يعتقدها قرارا، ولا يرجو فيها مقاما، فأخرجها من النفس، وأشخصها عن القلب، وغيبها عن البصر، وكذلك من أبغض شيئا أبغض أن ينظر إليه، وأن يذكر عنده، ولقد كان في رسول الله ﷺ ما يدلك على مساوئ الدنيا وعيوبها؛ إذ جاع فيها مع خاصته، وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته، فلينظر ناظر بعقله، أ أكرم الله بذلك محمداً، أم أهانه؟ فإن قال:

أهانه، فقد كذب والله العظيم، وأتى بالإفك العظيم، وإن قال: أكرمه، فليعلم أن الله قد أهان غيره؛ حيث بسط الدنيا له وزواها عن أقرب الناس منه، فإن تأسى متأس بنبيه، واقتص أثره، وولج مولجه، وإلا فلا يأمن الهلكة، فإن الله جعل محمداً ﷺ علما للساعة، ومبشرا بالجنة، ومنذراً بالعقوبة، خرج من الدنيا خميصاً، وورد الآخرة سليما، لم يضع حجرا على حجر، حتى مضى لسبيله، وأجاب داعي ربه، فما أعظم منّة الله عندنا، حين أنعم علينا به، سلفا نتبعه، وقائدا نطأ عقبه. والله، لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها، ولقد قال لي قائل: أ لا تنبذها؟ فقلت: اغرب عني، فعند الصباح يحمد القوم السرى»[1].

الأخلاق الإسلامية

إن النفس البشرية صفحة بيضاء، تنقش عليها الأعمال والأفعال، فإن كانت حسنة ازدادت هذه الصفحة بياضاً ونصاعة، وسمت بصاحبها إلى مراتب العلو والقرب من الله سبحانه ومن الناس[2]. وإن

---

(١) مكارم الأخلاق: ص٨ المقدمة.

(٢) لأن الناس فطروا على حب الكمال والجمال، فالتاجر محترم، لأن له كمالاً مادياً لكن بما أن هذا سيزول فحبهم يزول. بخلاف الكمال الباقي والأبدي فان حب الناس تلقائياً يكون معه أبداً، فالذي يتقرب إلى الله تعالى بما أنه أصبح كاملاً ينجذب الناس إليه كما في الرواية عن الإمام الجواد عليه السلام حيث قال: «من استغنى بالله افتقر الناس إليه، ومن اتقى الله ←

كانت رديئة سيئة تلوثت الصفحة، وجعلتها سوداء داكنة، وتحطّ من صاحبها، وتزيد من بعد المرء عن الله تعالى وعن الناس.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إن النفس لجوهرة ثمينة من صانها رفعها ومن ابتذلها وضعها»[1].

والنفس البشرية من نفس واحدة تكويناً كما صرّح بذلك القرآن الكريم: ﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[2]، ولكن لها مراتب ودرجات، فهي من الكليات المشككة ـ كما يقول البعض ـ فيمكن أن تتحول بفعل بعض الأعمال إلى نفس مطمئنة فاضلة، وذلك لأن صاحبها حصّنها وروّضها على ترك الأفعال القبيحة وغير اللائقة بالإنسان، فيستحق صاحبها على ذلك الفوز الإلهي، كما وعد الله تعالى المؤمنين: ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

ويمكن أن تتحول إلى نفس كدرة ومنحطة، كما عند بعض الناس؛ وذلك لأن صاحبها لم يتجنب فعل الرذائل، وغاص بها إلى أعماقه، فصاحبها قد اشترى لنفسه غضب الله تعالى ـ والعياذ بالله ـ وانتقامه، وكره الناس له قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ

→
أحبه الناس وإن كرهوا». كشف الغمة: ج٢ ص٣٤٧ باب ذكر الإمام التاسع أبي جعفر محمد بن علي..

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٣١ ق٣ ب٢ ف١ ح٤٦١٦.

(٢) سورة الأنعام: ٩٨.

(٣) سورة الروم: ٤٧.

سَعِيراً﴾ [1].

خلاصة الكلام

فخلاصة الكلام: أن المسير بيد الإنسان، فله السير على كلا الطريقين: طريق يؤدي به إلى أن يتسامى بالنفس الفاضلة، وذلك بعمل الأخلاق المثالية والأعمال الحسنة، مثل: الصدق والأمانة والوفاء والمحبة والتقوى، وغيرها من الفضائل التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم، ووضحها لنا النبي صلى الله عليه وآله وآل بيته الأطهار عليهم السلام؛ وذلك ببيانها وتحلّيهم وعملهم بها، فهم (عليهم أفضل الصلاة والسلام) منبع الأخلاق الحميدة، وأساس كل فضيلة، وسالك هذا الطريق لا يضل، بل يضمن الفوز في كلا الدارين؛ الفوز في الدنيا، كما هو معلوم؛ لأن جميع العقلاء يمدحون صاحب الأخلاق الفاضلة الحميدة، ويذمون صاحب الأخلاق الفاسدة والسيئة، أما الفوز في الآخرة فهذا أيضاً معلوم وبديهي، يؤكده العقل والنقل.

أما العقل فلأن الله تعالى عادل ـ بحكم العقل ـ فلا يضيع أجر من عمل صالحاً وسيجزيه على ذلك الثواب.

وأما النقل فكثرة الآيات المباركة والروايات الشريفة التي تحث على عمل الفضائل والاجتناب عن الرذائل وما يقابلها من الأجر الجزيل،

---

(١) سورة الأحزاب: ٦٤.

حيث قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ۞ وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[2].

وقال عز وجل: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ۞ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِّن عِندِ اللهِ وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[3]. والمتفحص للكتاب والسنة يجد مئات الآيات والروايات بل ربما آلافها في هذا الباب، فسلوك هذا الطريق يأتي بنا إلى الفوز بالدنيا والآخرة عقلاً ونقلاً[4].

---

(١) سورة الزلزلة: ٧.

(٢) سورة التوبة: ١٢٠ ـ ١٢١.

(٣) سورة آل عمران: ١٩٤ ـ ١٩٥.

(٤) راجع كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي، وجامع السعادات للنراقي، وثواب الأعمال والخصال للشيخ الصدوق، وتنبيه الخواطر ونزهة النواظر ←

أما الطريق الآخر، فهو طريق يؤدي إلى أن تصبح النفس منحطة ملوثة؛ وذلك بارتكاب الأعمال السيئة؛ مثل: الكذب والخيانة والغيبة والسرقة والعنف والظلم وغيرها من الأعمال الرذيلة.

هذان طريقان، والإنسان مخير بالمسير في كلا الطريقين؛ طريق الفضيلة، وطريق الرذيلة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[1] وقال تعالى: ﴿وهدينا النجدين﴾[2]. والإسلام يختار للإنسان ويحثه على سلوك طريق الفضيلة، لما به من محاسن ومنافع خاصة وعامة، تعود إلى نفسه وأسرته والى المجتمع. ويطرح الإسلام دلائل ونماذج على ذلك، في قمتها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وآل بيته الأطهار عليهم السلام، ومن سار على طريقهم ومنحاهم.

نماذج أخلاقية

الأخلاق على قسمين: أخلاق حسنة، وأخلاق سيئة، ولكن عندما يطلق لفظ الأخلاق فالمراد منه الأخلاق الحسنة، فنعني بقولنا: نماذج أخلاقية، نماذج من الأخلاق الحسنة.

→
للأمير ورام بن أبي الفوارس، ومحاسبة النفس للسيد ابن طاووس، وغيرها كثير.

(١) سورة الإنسان: ٣.

(٢) سورة البلد: ١٠.

والتاريخ يعرض لنا نماذج كثيرة من الأخلاق لتلامذة الأئمة عليهم السلام استمدت من أخلاق الرسول صلى الله عليه وآله وآل بيته الأطهار عليهم السلام وسيرتهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1]. نذكر بعضاً منها هنا لكي تكون عبرة وأسوة لأولي الألباب، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [2].

الإمام الحسين عليه السلام وتعامله مع الشامي

جاء في كتاب (منازل الآخرة) للمحدث القمي قدس سره[3]:

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

(٢) سورة الذاريات: ٥٥.

(٣) الشيخ عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم القمي، ولد بقم المقدسة سنة (١٢٩٤هـ)، كان والده من صلحاء أهل قم وزهادهم، وله تعلق بحضور مجالس الوعظ والإرشاد ومجالس سيد الشهداء عليه السلام. وأمه كانت من النساء الصالحات، وكان الشيخ القمي دائما يذكرها بالخير. عاش الشيخ عباس في وسط اجتماعي متدين امتاز بكثرة الاهتمام بإقامة الشعائر الدينية، وفي هذا الجو الروحاني الذي عاشه تأثر به بشكل كبير، ورغم أنه كان ضعيف البنية، ولكنه كان قوي الروح وصاحب قلب مطمئن بالله عز وجل، وقد تشبعت نفسيته بحب البحث والمعرفة من طفولته. فقد نقل أنه حينما كان يرغب إليه أترابه من الأولاد في سنه أن يشاركهم في لعبهم البريء، كان يرفض ذلك، وحينما يصرون عليه يجيبهم بشرط أن يقص عليهم بعض القصص الدينية، وبما أن طبع الأطفال يميل إلى القصة فكانوا يتحلقون حوله فيقص عليهم من قصص الصالحين.
قرأ مقدمات العلوم، وسطوح الفقه والأصول على عدد من علماء قم وفضلائها، كالميرزا محمد الأرباب، الذي وصف بأنه من أعاظم علماء قم، وأكابر فقهاء وأدباء الدهر.

←

→
فالقمي هو الخطيب الفحل والواعظ الشهير، ونادرة العصر في فن الخطابة، وكان لـه الدور البارز في تأسيس الجامعة العلمية مع الشيخ عبد الكريم الحائري، ولكنه لم يعمر في هذه الحوزة الفتية فقد توفي بعد سنة من تأسيسها (١٣٤١هـ). وتحدث آغا بزرك الطهراني، زميل القمي حيث قال: في سنة (١٣١٦هـ) هاجر إلى النجف الأشرف، فأخذ يحضر حلقات دروس العلماء، إلا أنه لازم شيخنا الحجة الميرزا حسين النوري. وكان يصرف معه أكثر وقته في استنساخ مؤلفاته ومقابلة كتاباته. ومع أن العمر قصر في حياة الأستاذ النوري مع ذلك فقد كان لـه تأثير كبير في شخصية القمي وبنائها، وبعد وفاة الشيخ النوري أتم دراسته بالحضور على المجتهدين الآخرين من أساتذة الحوزة العلمية. وفي سنة (١٣٢٢هـ) عاد فيها إلى قم وبقي يمارس أعماله العلمية، وانصرف إلى البحث والتأليف، لا يصرفه عن ذلك شيء، ولا يحول بينه وبين رغبته فيه واتجاهه إليه حائل. ورغم معاناته من مرض الربو إلا أن ذلك لم يكن يمنعه عن ممارسة أبحاثه ونشاطه العلمي. هاجر إلى مشهد المقدسة فهبط مشهد الإمام الرضا بطلب من آية الله السيد حسين القمي، فاستجاب لـه الشيخ وعزم على البقاء في هذه الأرض الطيبة، وقد طبع فيها بعض مؤلفاته، وصنف غيرها. وقد لمع اسم الشيخ القمي في هذه المدينة المقدسة وانتشر في بلدان العالم الشيعي عامة، خصوصا بعد طبع كتابه (مفاتيح الجنان). كما أنه كان لمجالس وعظه الأثر الكبير في إقبال قلوب المؤمنين وأهل المعرفة إليه، حيث كان يرتقي المنبر في بيت السيد القمي في العشرة الأولى من محرم الحرام. وأم صلاة الجماعة في أحد أروقة الحرم الرضوي على مشرفه آلاف التحية والسلام، كما أنه كان يدرس الأخلاق في ليالي الخميس والجمعة في مدرسة (ميرزا جعفر) العلمية في مشهد المقدسة، وكان يحضر تحت منبره ألف مستمع، ولم يمتهن الخطابة الحسينية، وإنما اتخذها وسيلة لتبليغ رسالته الإلهية وقد نحج في ذلك بمقدار كبير. ونتيجة لإيمان الشيخ وتقواه وحبه لهداية المؤمنين فقد تصدى لهذه المهمة الكبيرة ـ التبليغ والخطابة ـ من موقع الوظيفة الشرعية بدون أن يحترفها، حيث كانت لمواعظه أثرها الكبير في النفوس لأنه كان يتحدث بما يعتقد به وبما عمل به قبل أن يتحدث عنه. وقد نقل عن بعض حضار مجلسه، أنه قال: لقد كان كلام الشيخ القمي يجعل الإنسان بعيدا وممتنعا عن السيئات
←

→
والأعمال والذنوب لمدة أسبوع على الأقل، ويكون متوجها إلى الله تعالى وإلى العبادة. ونقل عن بعض علماء النجف: كانت طريقة الشيخ عباس عندما يرتقي المنبر ويبدأ حديثه ينقل في البداية الخبر، ثم يذكر سند الحديث ورجال السند، ثم يتحدث عن حياتهم وحالهم في الوثاقة وغيره، فإذا وصل به الحديث إلى المعصوم عليه السلام فإنه يتغير ويتخيل السامع أنه يرى المعصوم عليه السلام رأي العين. ولما أدخل مؤسس الحوزة العلمية في قم آية الله الشيخ الحائري رحمه الله إحياء مصائب سيدة نساء العالمين عليها السلام في الفاطمية الثانية، كان يحضر للمنبر الشيخ عباس القمي، وكان المجلس يكتظ بالعلماء والفضلاء وطلبة العلوم الدينية وسائر الناس يستمعون بإصغاء كامل إلى حديث الشيخ القمي. وكان يرتقي المنبر في النجف الأشرف ـ أيضاً ـ في (مسجد الهندي) المعروف صباح كل يوم من العشرة الأولى لمحرم، وكان مجلسه يكتظ بالناس أكثر من جميع مجالس النجف مع أنه كان يتحدث لمدة لا تقل عن ساعتين. وكان في يوم العاشر لا يقرأ إلا المقتل ولا يتحدث إلا عن مصيبة سيد الشهداء عليه السلام ومظلوميته. وكان لخطاباته آثارا خاصة وذات جذابية تكسب إليها كل القلوب، فقد كان واعظا متعظا، ويلقي على سامعيه الأحاديث المنقولة عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام مع تحفظ على ضبطها ودقة في قراءة ألفاظها. ويعظ الناس ودموعه منهمرة تسيل على لحيته الكريمة، وربما منعته من الاستمرار في حديثه، وخاصة عند ذكر مصائب المعصومين عليهم السلام، وما ورد عليهم من الآلام والفجائع على أيدي أعدائهم وغاصبي حقوقهم.

واهتم الشيخ القمي رحمه الله بالعلم والتأليف والتصنيف والترجمة والبحث والدرس والمقابلة وما إلى ذلك اهتماما كبيراً، قال نجله الشيخ علي: كان والدي دائم الاشتغال بالكتابة، وحتى في حال مرضه فإنه كان يشتغل بالقراءة والكتابة في اليوم والليلة سبعة عشرة ساعة على الأقل. وكان جيد الكتابة وسريعها، وقد كتب كثيرا حتى ثفنت أطراف أصابعه التي يمسك بها القلم، كان يعشق الكتاب بشكل عام ويطرب لـه ويرمق إليه بأريحية ومحبة، وكان ينظر إلى كتب الشيعة وبالخصوص كتب الحديث نظرة قداسة.

ترك من المؤلفات القيمة الكثير، وقد تميز رحمه الله بكثرة التأليف، وجودة ومتانة وعمق التأليف، ولذا صارت مؤلفاته محط أنظار العلماء، ومرجعا علميا للمؤلفين والمصنفين، وقد وفقه الله تعالى توفيقاً منقطع ←

روي عن عصام بن المصطلق أنه قال: دخلت المدينة فرأيت الحسين ابن علي عليه السلام فأعجبني سمته ورواؤه، وأثار من الحسد ما كان يخفيه صدري لأبيه من البغض، فقلت له: أنت ابن أبي تراب؟ فقال: «نعم». فبالغت في شتمه وشتم أبيه!. فنظر إلي نظرة عاطف رؤوف، ثم قال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ.. خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ۞ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ۞ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ

→

النظير في كتابه (مفاتيح الجنان) إذ قلما نجد بيتا من بيوت شيعة أهل البيت عليهم السلام في العالم يخلو من كتابه النفيس (مفاتيح الجنان). وهذا توفيق الهي حظي به هذا العالم الجليل. أما أشهر مؤلفاته، فهي: كتاب الأنوار البهية في تاريخ النبي وآله عليهم السلام، والآيات البينات في أخبار أمير المؤمنين عليه السلام عن الملاحم والغائبات، وبيت الأحزان في مصائب سيدة النسوان عليها السلام، والباقيات الصالحات في الأعمال والأدعية والأذكار والأوراد، طبع في حاشية كتابه (المفاتيح)، ومنتهى الآمال في سيرة الأئمة الأطهار عليهم السلام، وتتمة المنتهى في تاريخ الخلفاء، وتحفة الأحباب في نوادر الأصحاب، في أحوال صحابة الرسول صلى الله عليه وآله وأصحاب أئمة الهدى (صلوات الله عليهم)، وذخيرة العقبى في مثالب أعداء الزهراء عليها السلام. وسفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، والفوائد الرجبية فيما يتعلق بالشهور العربية، والكنى والألقاب، وكحل البصر في سيرة سيد البشر صلى الله عليه وآله. واللآلئ المنثورة في الأحراز والأذكار المأثورة، ومنازل الآخرة والمطالب الفاخرة، ونفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم عليه السلام.

توفي في النجف الأشرف في شهر ذي الحجة سنة (١٣٥٩هـ)، وحمل على الأكتاف إلى الصحن العلوي الشريف وصلى عليه المرجع الأعلى السيد أبو الحسن الاصفهاني قدس سره ودفن بوصية منه عند رجلي أستاذه الشيخ النوري في الصحن الغروي الشريف.

طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ۞ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ﴾[1] ثم قال لي: «خفض عليك، استغفر الله لي ولك، إنك لو استعنتنا لأعناك، ولو استرفدتنا لرفدناك، ولو استرشدتنا لرشدناك». قال عصام: فتوسم مني الندم على ما فرط مني. فقال: « ﴿قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[2] أمن أهل الشام أنت؟». قلت: نعم. فقال: «شنشنة اعرفها من أخزم[3] حيانا الله وإياك، انبسط إلينا في حوائجك وما يعرض لك، تجدني عند أفضل ظنك، إن شاء الله تعالى». قال عصام: فضاقت علي الأرض بما رحبت، وودت لو ساخت بي، ثم سللت منه لواذاً، وما على الأرض أحب إلي منه ومن أبيه[4].

ولو فرضنا أن الإمام عليه السلام غضب من سباب هذا الرجل وعاملة معاملة أخرى ـ وحاشا الإمام أن ينتهج هذا الأسلوب، ولكن نقول: لو فرضنا، وفرض المحال ليس بمحال ـ لو عمل الإمام عليه السلام ذلك، ألم

---

(١) سورة الأعراف: ١٩٩ ـ ٢٠٢.

(٢) سورة يوسف: ٩٢.

(٣) الشنشنة: السجية والطبيعة. وقيل القطعة المضغة من اللحم. وهو مثل، وأول من قاله أبو أخزم الطائي وذلك: أن اخزم كان عاقا لأبيه، فمات وترك بنين عقوا جدهم، وضربوه وأدموه، فقال:

إن بني زملوني بالدم شنشنة أعرفها من أخزم

(٤) منازل الآخرة والمطالب الفاخرة: ص٢٠٧.

يكن قد ازداد هذا الرجل غضباً وحقداً على الإمام وأبيه عليهما السلام، وظلّ يسير على طريق الضلالة، ولامتلأ قلبه حقداً أكثر من ذي قبل؟ لكن بما أن الإمام عليه السلام مسئوليته الإلهية هي هداية الناس، استطاع عليه السلام أن يحوّل هذا الرجل من طريق الضلالة، وهو بغض الإمام أمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام جميعاً، إلى طريق الهداية وهو محبة الإمام أمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام عن طريق حسن أخلاقه (عليه وأبيه الصلاة والسلام).

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ورجل من ولد عمر

روي: أن رجلاً من ولد عمر بن الخطاب كان بالمدينة يؤذي أبا الحسن موسى عليه السلام ويسبه إذا رآه ويشتم علياً عليه السلام، فقال له بعض جلسائه يوما: دعنا نقتل هذا الفاجر، فنهاهم عن ذلك أشد النهي، وزجرهم أشد الزجر، وسأل عن العمري، فذكر أنه يزرع بناحية من نواحي المدينة، فركب فوجده في مزرعة، فدخل المزرعة بحماره، فصاح به العمري: لا توطئ زرعنا، فتوطأه أبو الحسن عليه السلام بالحمار حتى وصل إليه فنزل وجلس عنده، وباسطه وضاحكه، وقال له: «كم غرمت في زرعك هذا؟».

فقال له: مائة دينار.

قال: «وكم ترجو أن تصيب فيه؟».

قال: لست أعلم الغيب.

قال: «إنما قلت لك: كم ترجو أن يجيئك فيه؟».

قال: أرجو فيه مائتي دينار.

قال: فأخرج له أبو الحسن عليه السلام صرة فيها ثلاثمائة دينار، وقال: «هذا زرعك على حاله، والله يرزقك فيه ما ترجو»، قال: فقام العمري فقبل رأسه، وسأله أن يصفح عن فارطه، فتبسم إليه أبو الحسن عليه السلام وانصرف، قال: وراح إلى المسجد فوجد العمري جالسا، فلما نظر إليه قال: الله أعلم حيث يجعل رسالاته، قال: فوثب أصحابه إليه فقالوا: ما قصتك، قد كنت تقول غير هذا؟! قال: فقال لهم: قد سمعتم ما قلت الآن، وجعل يدعو لأبي الحسن عليه السلام فخاصموه وخاصمهم، فلما رجع أبو الحسن إلى داره، قال لجلسائه الذين سألوه في قتل العمري: «أيما كان خيرا: ما أردتم، أو ما أردت، إنني أصلحت أمره بالمقدار الذي عرفتم، وكفيت به شره»[1].

نعم، هذه هي أخلاق أهل بيت النبوة عليهم السلام المستمدة من أخلاق حامل الرسالة الإلهية، يعاملون المسيء بالإحسان.

فالرجل أساء إلى الإمام عليه السلام ولكن الإمام عليه السلام لم يعامله بالمثل، وإنما أحسن إليه، واستطاع بهذا العمل تحقيق ثلاثة أهداف:

أولها: رضا الله تعالى وهو أهمها عند الإمام عليه السلام.

---

(١) الإرشاد: ج٢ ص٢٣٣ باب ذكر طرف من فضائله عليه السلام ومناقبه وخلاله التي بان بها في الفضل من غيره.

وثانيها: إصلاح المسيء وجره إلى جادة الحق.

وثالثها: أن يكون عمل الإمام هذا أسوة ومنهجاً لكافة المسلمين.

فلنتخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه وآله وبعترته الطاهرة عليهم السلام ففي ذلك فوز لنا بالدنيا والآخرة.

صور من الخلق المثالي

روى الشيخ عباس القمي رحمه الله قال: إن مالك الأشتر رحمه الله[1] كان

---

(١) مالك الأشتر: هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن سلمة النخعي المذحجي، من أصحاب أمير المؤمنين المخلصين، وقائد جيش الإمام علي عليه السلام في العراق، وهو يعد من أكابر الشجعان الأجواد والعلماء الفصحاء، وقيل: أنه تابعي لم ير النبي صلى الله عليه وآله. لُقب بالأشتر، لأنه شارك في معركة اليرموك فضُرب على عينه فشترت. وكان رئيس قومه في الكوفة. من وجوه الصحابة وخيار التابعين، وعد الأشتر من التابعين الكبار، ورؤسائهم وزهادهم. روي أنه: مكث أبو ذر رضي الله عنه بالربذة حتى مات، فلما حضرته الوفاة، قال لامرأته: اذبحي شاة من غنمك واصنعيها، فإذا نضجت فاقعدي على قارعة الطريق، فأول ركب ترينهم قولي: يا عباد الله المسلمين، هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، قد قضى نحبه ولقي ربه، فأعينوني عليه، وأجيبوه، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني إني أموت في أرض غربة، وأنه يلي غسلي ودفني والصلاة علي رجال من أمته صالحون. وعن محمد بن علقمة بن الأسود النخعي، قال: خرجت في رهط أريد الحج، منهم مالك بن الحارث الأشتر، وعبد الله بن الفضل التميمي، ورفاعة بن شداد البجلي، حتى قدمنا الربذة، فإذا امرأة على قارعة الطريق تقول: يا عباد الله المسلمين، هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، قد هلك غريبا، ليس لي أحد يعينني عليه، قال: فنظر بعضنا إلى بعض وحمدنا الله على ما ساق إلينا، واسترجعنا على عظم المصيبة، ثم أقبلنا معها، فجهزناه وتنافسنا في كفنه حتى خرج من بيننا بالسواء، ثم ←

→
تعاونا على غسله حتى فرغنا منه، ثم قدمنا مالك الأشتر فصلى بنا عليه، ثم دفناه، فقام الأشتر على قبره، ثم قال: اللهم هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ، عَبَدك في العابدين، وجاهد فيك المشركين، لم يغير ولم يبدل، لكنه رأى منكرا فغيره بلسانه وقلبه حتى جفي، ونفي، وحرم، واحتقر، ثم مات وحيدا غريبا، اللهم فاقصم من حرمه، ونفاه من مهاجره وحرم رسولك، قال: فرفعنا أيدينا جميعا، وقلنا: آمين، ثم قدمت الشاة التي صنعت، فقالت: إنه قد أقسم عليكم أن لا تبرحوا حتى تتغدوا، فتغدينا وارتحلنا.

وحسبه فخراً أن أمير المؤمنين ﷺ أثنى عليه بما لم يثن على أحد من أنصاره ومريديه فقال: « أما بعد، فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين وأقمع به نخوة الأثيم وأسد به لهاة الثغر المخوف» نهج البلاغة، الكتب: ٤٦. وقال ﷺ فيه حين ولاه مصر: «من عبد الله علي أمير المؤمنين، إلى القوم الذين غضبوا لله حين عصي في أرضه وذهب بحقه، فضرب الجور سرادقه على البر والفاجر والمقيم والظاعن، فلا معروف يستراح إليه، ولا منكر يتناهى عنه. أما بعد، فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله، لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع، أشد على الفجار من حريق النار، وهو مالك بن الحارث أخو مذحج، فاسمعوا لـه وأطيعوا أمره فيما طابق الحق، فإنه سيفٌ من سيوف الله، لا كليل الظبة ولا نابي الضريبة، فإن أمركم أن تنفروا فانفروا، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا، فإنه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخر ولا يقدم إلا عن أمري، وقد آثرتكم به على نفسي؛ لنصيحته لكم وشدة شكيمته على عدوكم». وقال ﷺ في كتاب آخر إلى أمراء جيشه حين أمّره عليهم: «وقد أمّرت عليكما وعلى من في حيزكما، مالك بن الحارث الأشتر فاسمعا لـه وأطيعا، واجعلاه درعاً ومجناً فإنه ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته ولا بطؤه عما الإسراع إليه أحزم، ولا إسراعه إلى ما البط عنه أمثل.

وكان ﷺ شديد البأس جواداً رئيساً حليماً فصيحاً شاعراً، وكان يجمع بين اللين والعنف، فيسطر في موضع السطوة، ويرفق في موضع الرفق. وقال ابن أبي الحديد في شرحه: كان فارساً شجاعاً رئيساً من أكابر الشيعة وعظمائها، شديد التحقيق بولاء أمير المؤمنين عليه السلام ونصره. وقال الكشي: ذكر أنه لما نعي الأشتر مالك بن الحارث النخعي إلى أمير المؤمنين عليه السلام تأوه حزنا، وقال: «رحم الله مالكا، وما مالك عز
←

مجتازا بسوق الكوفة وعليه قميص خام، وعمامة منه، فرآه بعض السوقة فأزدرى بزيه، فرماه ببندقة تهاونا به، فمضى ولم يلتفت. فقيل له: ويلك، أتدري بمن رميت؟! فقال: لا . فقيل له: هذا مالك صاحب أمير المؤمنين عليه السلام. فارتعد الرجل، ومضى إليه ليعتذر منه، فرآه وقد دخل مسجداً وهو قائم يصلي، فلما انفتل أكب الرجل على قدميه يقبلهما. فقال: ما هذا الأمر؟!

فقال: أعتذر إليك مما صنعت. فقال: لا بأس عليك، فوالله، ما دخلت المسجد إلا لأستغفرن لك[1].

يقول ـ القمي رحمه الله ـ: انظر كيف كسب هذا الرجل الأخلاق من أمير المؤمنين عليه السلام فمع أنه من أمراء جيش أمير المؤمنين، وكان شجاعاً،

→ علي به هالكا، لو كان صخرا لكان صلدا، ولو كان جبلا لكان فندا، وكأنه قد مني قدا». وقال عليه السلام: «إنا لله وإنا إليه راجعون رحم الله مالكاً، فقد كان وفي بعهده وقضى نحبه ولقي ربه». وقال عليه السلام أيضاً: «أما والله ليهدن موتك عالماً وليفرحن عالماً، على مثل مالك فليبك البواكي، وهل موجود كمالك؟». وقال معاوية حين سمع موت مالك وقد قام خطيباً: أما بعد فإنه كانت لعلي بن أبي طالب(عليه السلام) يدان يمينان: قطعت إحداهما يوم صفين وهو عمار بن ياسر، وقطعت الأخرى اليوم وهو مالك الأشتر. استشهد رضي الله عنه عند ذهابه إلى مصر حينما ولاه أمير المؤمنين عليه السلام ولاية أهلها وخراجها في سنة (٣٧ هـ) وقيل سنة (٣٨هـ). انظر: نقد الرجال للتفرشي: ج٤ ص٨١ مالك بن الحارث الأشتر، وجامع الرواة: ج٢ ص٣٧ ، ومعجم رجال الحديث: ج١٥ ص١٦٧ مالك بن الحارث. وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٥ ص٩٨ فصل في نسب الأشتر.

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج١ ص٢.

وشديد الشوكة، وإن شجاعته بلغت درجة بحيث قال ابن أبي الحديد: لو أن إنسانا يقسم، أن الله تعالى ما خلق في العرب ولا في العجم أشجع منه إلا أستاذه علي بن أبي طالب عليه السلام لما خشيت عليه الإثم، ولله در القائل، وقد سُئل عن الأشتر: ما أقول في رجل هزمت حياته أهل الشام، وهزم موته أهل العراق. وبحق ما قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام: «لقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله »[1]. وقال لأصحابه: «وليت فيكم مثله اثنان، بل ليت فيكم مثله واحد يرى في عدوي مثل رأيه»[2]. وبالجملة، فمع هذه الجلالة والشجاعة والشدة والشوكة يصل به حسن خلقه إلى أن يهينه رجل سوقي ويستهزئ به، فلا يظهر في حاله أي تغيير وتبدل، بل يذهب إلى المسجد ويصلي، ويدعو ويستغفر له.

وإذا تلاحظ جيداً فإن هذه الشجاعة التي عنده حيث غلب هوى نفسه، أعلى مرتبة من شجاعته البدنية. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أشجع الناس من غلب هواه»[3].

روي أن أمير المؤمنين عليه السلام سمع رجلا يشتم قنبراً وقد رام قنبر أن يرد عليه. فناداه أمير المؤمنين عليه السلام: «مهلا يا قنبر! دع شاتمك مهانا ترض

---

(١) رجال العلامة الحلي: ص١٦٩ ب٩ ترجمة مالك الأشتر.

(٢) بحار الأنوار: ج٣٢ ص٥٤٧ ب١٢ ح٤٥٩.

(٣) منازل الآخرة: ص٢١٠ الروايات التي وردت في حسن الخلق. وسفينة البحار: ج١ ص٤٢١ للمحدث القمي. مستدرك الوسائل: ج١٢ ص١١١ ب٨١ ح١٣٦٥٨.

الرحمن، وتسخط الشيطان، وتعاقب عدوك، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أرضى المؤمن ربه بمثل الحلم، ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت، ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه»[1].

العلماء الأبرار

وكذلك كان علماؤنا الأبرار فقد اقتدوا بنبيهم صلى الله عليه وآله وسلم وأئمتهم عليهم السلام في السيرة والسلوك وحسن الخلق، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وهذه القصة تبين لنا بعض ذلك:

نقل عندما كان شيخ الفقهاء العظام المرحوم الحاج الشيخ جعفر صاحب (كشف الغطاء)[2] موجودا في (أصفهان) وقد قسم يوما حقوقا

---

(١) أمالي الشيخ المفيد: ١١٨ المجلس ١٤ ح٢.

(٢) هو الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر ابن الشيخ يحيى المالكي الجناجي النجفي الفقيه المشهور. ولد في النجف الأشرف في حدود سنة (١١٥٤هـ)، وقيل: سنة (١١٤٦هـ). زعيم الشيعة الإمامية في وقته، لقب بشيخ الإسلام. كان فقيهاً لا ثاني له، وهو الذي قال: لم يفتض بكارة الفقه إلا أنا والشهيد الأول وولدي موسى. وينسب إلى جناجة، قرية تابعة للحلة. قال عنه صاحب (روضات الجنات): كان من أساتذة الفقه والكلام، وجهابذة المعرفة والأحكام، معروفاً بالنبالة والأحكام، مروجاً للمذهب الحق كما هو حقه، وبيده رتقه وفتقه، مقدماً عند الخاص والعام، معظماً في عيون الأعاظم والحكام، غيوراً في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقوراً عند الهزاهز والغير، مطاعاً للعرب والعجم في زمانه، متفوقاً في الدنيا والدين على سائر أمثاله وأقرانه. كان شديد التواضع والخفض واللين، وفاقد التجبر والكبر على المؤمنين، مع ما فيه من الصولة والوقار والهيبة والاقتدار، فلم يكن يمتاز في ظاهر هيئته ←

شرعية على الفقراء قبل شروعه بالصلاة الأولى، ثم قام للصلاة وعند انتهائه من تلك الصلاة، وقيامه للصلاة الأخرى جاءه أحد الفقراء وكان من السادة ـ الذين أُخبروا بالأمر ـ بين الصلاتين، وقال له: أعطني من

←

عن واحد من الأعراب، ويرتعد من كمال هيبته فرائص أولى الألباب، وكان أبيض الرأس واللحية في أزمنة مشيبه كبير رفيع الهمة، سمحا شجاعاً، قوياً في دينه، بصيراً في أمره، كثير التشوق إلى الأنكحة والطعام، والتعلق بأبواب الملوك والحكام لأجل ما في ذلك من المصالح الدينية باعتقاده، وقال (صاحب المستدرك): هو من آيات الله العجيبة التي تقصر عن دركها العقول وعن وصفها الألسن، فإذا نظرت إلى علمه فكتابه (كشف الغطاء) الذي ألفه في سفره ينبئك عن أمر عظيم ومقام علي في مراتب العلوم الدينية أصولاً وفروعاً. وكان الشيخ الأعظم الأنصاري يقول: من أتقن القواعد الأصولية التي أودعها الشيخ في كشفه فهو عندي مجتهد.

قرأ المقدمات على يد والده الشيخ خضر، وحضر أبحاث المدرسين والعلماء الأعلام، وتتلمذ على أساطين عصره كالشيخ محمد مهدي الفتوني العاملي، والشيخ محمد تقي الدورقي، والسيد صادق الفحام، والشيخ المحقق الوحيد محمد باقر البهبهاني، والسيد مهدي بحر العلوم الطباطبائي. وتتلمذ على يده جملة من الفقهاء والعلماء الأعلام أمثال أولاده الثلاثة الشيخ موسى والشيخ علي والشيخ حسن، وأصهاره كالشيخ أسد الله التستري، والشيخ محمد تقي الرازي، والسيد صدر الدين العاملي، والسيد جواد العاملي صاحب (مفتاح الكرامة)، وكذلك الشيخ عبد الحسين الأعسم، والشيخ حسين نجف وغيرهم كثيرون. مؤلفاته كثيرة أهمها: (كشف الغطاء عن خفيات مبهمات الشريعة الغراء) و(بغية الطالب) و(القواعد الجعفرية) و(الحق المبين) و(إثبات الفرقة الناجية) و(مشكاة المصابيح) و(منهج الإرشاد لمن أراد السداد). توفي في النجف الأشرف في شهر رجب المرجب سنة (١٢٢٧هـ). انظر أعيان الشيعة: ج٤ ص٩٩ ترجمة الشيخ كاشف الغطاء. وروضات الجنات: ج٢ ص٢٠٠ بالرقم ١٧٤. والذريعة: ج١٨ ص٤٥ بالرقم ٦٠٩.

مال جدي. فقال له: لقد جئت متأخراً، ولا يوجد عندي الآن شي لأعطيك منه.

فغضب ذلك السيد، وبصق على لحية الشيخ المباركة!.

فقام الشيخ من المحراب، ورفع طرف ردائه وأخذ يدور في صفوف الجماعة وهو يقول: من كان يحترم شيبة الشيخ فليساعد هذا السيد. فملأ الناس طرف ثوبه بالأموال، ثم أعطاها الشيخ للسيد واعتذر منه، وبعد ذلك توجه لصلاة العصر!.

تأمل في هذا الخلق الشريف بأي محل بلغ، لهذا العالم الكبير الذي كان رئيسا للمسلمين، وحجة الإسلام، وفقيه أهل البيت عليهم السلام وقد وصلت فقاهته إلى درجة بحيث إنه ألف كتاب (كشف الغطاء) في السفر، ونقل عنه أنه كان يقول: لو مسحتم كل الكتب الفقهية فإني أستطيع أن اكتب من الطهارة إلى الديات. وكان جميع أولاده فقهاءً وعلماءً أجلاء.

نعم، هذه هي الأخلاق التي يجب أن يتمتع بها المسلمون، ثم إن ما قام به الشيخ كاشف الغطاء رحمه الله هذا لم يحط من قدره، مع أنه كان مرجعاً كبيراً، بل زاده احتراماً وتقديراً، وحاز على رضا الله تعالى واحترام الناس، فلو غضب الشيخ وأمر بضرب ذلك السيد ـ مثلا ـ لحصل شجار وهرج ومرج وتدخل الناس، واختل النظام في الجامع، مما يؤدي إلى تأخير الصلاة وكثرة الكلام غير المرغوب فيه، إضافة إلى مشاكل أخرى، لكن الشيخ بسماحته وأخلاقه المثالية تصرّف عكس

ذلك تماماً، حيث قام وجمع له مبلغاً من المال من المصلين، مما دفع ذلك السيد إلى التفكير في خطأه في حق الشيخ وتجاوزه الكبير عليه، فقام بالاعتذار من الشيخ، ولم يحصل أي شجار أو زعزعة.

وهذه الأخلاق تعلمها الشيخ من أخلاق أئمة الهدى عليهم السلام.

يقول العلامة النوري قدس سره صاحب المستدرك[1]: وإن تأملت في

---

(١) الشيخ الميرزا حسين النوري (١٢٥٤ ـ ١٣٢٠هـ) هو ميرزا حسين ابن ميرزا محمد تقي ابن ميرزا علي محمد بن تقي النوري الطبرسي، إمام أئمة الحديث والرجال في الأعصار المتأخرة، ومن أعاظم علماء الشيعة وكبار رجال الإسلام، ولد في قرية يالو من كور طبرستان، وكان وحيد عصره في الإحاطة والإطلاع على الأخبار والآثار والكتب الغريبة حتى جمع نفائس المخطوطات. وكان يقرأ مجالس الذكرى التي يقيمها في داره لوفيات أهل البيت عليهم السلام. تتلمذ على الشيخ عبد الرحيم البروجردي والد زوجته في طهران، ولازم العالم المولى محمد علي المحلاتي، والشيخ عبد الحسين الطهراني المعروف بشيخ العراقين، والشيخ الأعظم الأنصاري، والميرزا الشيرازي في سامراء. وأما تلاميذه فكثيرون وكان أبرزهم الشيخ عباس القمي، والشيخ آقا بزرك الطهراني صاحب (الذريعة في تصانيف الشيعة)، والشيخ إسماعيل محمد باقر الأصفهاني. وأما مؤلفاته فكثيرة أيضاً منها: مواقع النجوم ومرسلة الدر المنظوم، ونفس الرحمن في فضائل سلمان، واللؤلؤ والمرجان، ومستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ودار السلام جنة المأوى، والنجم الثاقب في أحوال الإمام الغائب عليه السلام، وميزان السماء، والكلمة الطيبة، وكشف الأستار، وسلامة المرصاد وغيرها.
ترجمه تلميذه الآغا بزرك الطهراني رحمه الله في مقدمة كتابه (المستدرك): ارتعش القلم بيدي عندما كتبت هذا الاسم، استوقفني الفكر عندما رأيت نفسي عازما على ترجمة أستاذي النوري، وتمثل لي بهيئته المعهودة بعد أن مضى على فراقنا خمس وخمسون سنة..كان الشيخ النوري أحد نماذج السلف الصالح التي ندر وجودها في هذا العصر، فقد امتاز بعبقرية فذة، وكان آية من آيات الله العجيبة، كمنت فيه مواهب غريبة ←

→
وملكات شريفة أهلته لان يعد في الطليعة من علماء الشيعة الذين كرسوا حياتهم طوال أعمارهم لخدمة الدين والمذهب، وحياته صفحة مشرقة من الأعمال الصالحة، وهو في مجموع آثاره ومآثره، إنسان فرض لشخصه الخلود على مر العصور وألزم المؤلفين والمؤرخين بالعناية به والإشادة بغزارة فضله، فقد نذر نفسه لخدمة العلم ولم يكن يهمه غير البحث والتنقيب والفحص والتتبع، وجمع شتات الأخبار وشذرات الحديث ونظم متفرقات الآثار وتأليف شوارد السير، وقد رافقه التوفيق وأعانته المشيئة الإلهية، حتى ليظن الناظر في تصانيفه أن الله شمله بخاصة ألطافه ومخصوص عنايته، وادخر لـه كنوزا قيمة لم يظفر بها أعاظم السلف من هواة الآثار ورجال هذا الفن، بل يخيل للواقف على أمره أن الله خلقه لحفظ البقية الباقية من تراث آل محمد عليه وعليهم السلام ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. تشرفت بخدمته للمرة الأولى في سامراء في (١٣١٣هـ) بعد وفاة المجدد الشيرازي(قده) بسنة، وهي سنة ورودي العراق، كما أنها سنة وفاة السلطان ناصر الدين شاه القاجاري، وذلك عندما قصدت سامراء زائرا قبل ورودي إلى النجف الأشرف، فوفقت لرؤية المترجم لـه بداره حيث قصدتها لاستماع مصيبة الحسين عليه السلام يوم الجمعة الذي ينعقد فيه مجلس بداره، وكان المجلس غاصا بالحضور والشيخ على الكرسي مشغول بالوعظ، ثم ذكر المصيبة، وتفرق الحاضرون، فانصرفت وفي نفسي ما يعلمه الله من إجلال وإعجاب وإكبار لهذا الشيخ إذ رأيت فيه حين رأيته سمات الأبرار من رجالنا الأول.. ولما اتفقت هجرته إلى النجف في (١٣١٤هـ) لازمته ملازمة الظل ست سنين حتى اختار الله لـه دار إقامته، ورأيت منه خلال هذه المدة قضايا عجيبة لو أردت شرحها لطال المقام، وبودي أن اذكر مجملا من ذلك فهذا ـ وايم الحق ـ مقام الوفاء، ووقت إعطاء النصف، وقضاء الحقوق، فإني لعلى يقين من أنني لا التقي بأستاذي المعظم ومعلمي الأول بعد موقفي هذا إلا في عرصات القيامة، فما بالي لا أفي حقه وأغنم رضاه. كان ـ أعلى الله مقامه ـ ملتزما بالوظائف الشرعية على الدوام، وكان لكل ساعة من يومه شغل خاص لا يتخلف عنه، فوقت كتابته من بعد صلاة العصر إلى قرب الغروب، ووقت مطالعته من بعد العشاء إلى وقت النوم، وكان لا ينام إلا متطهرا، ولا ينام من الليل إلا قليلا، ثم يستيقظ قبل الفجر بساعتين فيجدد
←

→
وضوءه..ثم يتشرف قبل الفجر بساعة إلى الحرم المطهر، ويقف ـ صيفا وشتاء ـ خلف باب القبلة فيشتغل بنوافل الليل إلى أن يأتي السيد داود نائب خازن الروضة وبيده مفاتيح الروضة، فيفتح الباب ويدخل شيخنا، وهو أول داخل لها وقتذاك، وكان يشترك مع نائب الخازن بإيقاد الشموع ثم يقف في جانب الرأس الشريف فيشرع بالزيارة والتهجد إلى أن يطلع الفجر فيصلي الصبح جماعة مع بعض خواصه من العباد والأوتاد، ويشتغل بالتعقيب، وقبل شروق الشمس بقليل يعود إلى داره فيتوجه رأسا إلى مكتبته العظيمة المشتملة على الألوف من نفائس الكتب والآثار النادرة العزيزة الوجود أو المنحصرة عنده، فلا يخرج منها إلا للضرورة، وفي الصباح يأتيه من كان يعينه على مقابلة ما يحتاج إلى تصحيحه ومقابلته مما صنفه أو استنسخه من كتب الحديث وغيرها، كالعلامتين الشيخ علي بن إبراهيم القمي، والشيخ عباس بن محمد رضا القمي، وكان معينه على المقابلة في النجف وقبل الهجرة إلى سامراء،وكان إذا دخل عليه أحد في حال المقابلة اعتذر منه أو قضى حاجته باستعجال لئلا يزاحم وروده أشغاله العلمية ومقابلته، أما في الأيام الأخيرة وحينما كان مشغولا بتكميل (المستدرك) فقد قاطع الناس على الإطلاق، حتى أنه لو سئل عن شرح حديث أو ذكر خبر أو تفصيل قضية أو تأريخ شئ أو حال راو أو غير ذلك من مسائل الفقه والأصول، لم يجب بالتفصيل بل يذكر للسائل مواضع الجواب ومصادره فيما إذا كان في الخارج، وأما إذا كان في مكتبته فيخرج الموضوع من أحد الكتب ويعطيه للسائل ليتأمله كل ذلك خوف مزاحمة الإجابة الشغل الأهم من القراءة أو الكتابة، وبعد الفراغ من أشغاله كان يتغذى بغداء معين كما وكيفا، ثم يقيل ويصلي الظهر أول الزوال، وبعد العصر يشتغل بالكتابة كما ذكرنا. أما في يوم الجمعة فكان يغير منهجه، ويشتغل بعد الرجوع من الحرم الشريف بمطالعة بعض كتب الذكر والمصيبة لترتيب ما يقرؤه على المنبر بداره، ويخرج من مكتبته بعد الشمس بساعة إلى مجلسه العام فيجلس ويحيي الحاضرين ويؤدي التعارفات، ثم يرقى المنبر فيقرأ ما رآه في الكتب بذلك اليوم، ومع ذلك يحتاط في النقل بما لم يكن صريحا في الأخبار الجزمية، وكان إذا قرأ المصيبة تنحدر دموعه على شيبته وبعد انقضاء المجلس يشتغل بوظائف الجمعة من التقليم والحلق وقص الشارب والغسل والأدعية والآداب والنوافل
←

مواظبته للسنن والآداب وعباداته، ومناجاته في الأسحار، ومخاطبته لنفسه بقوله: كنت جعيفراً، ثم صرت جعفراً، ثم الشيخ جعفر، ثم

→

وغيرها، وكان لا يكتب بعد عصر الجمعة ـ على عادته ـ بل يتشرف إلى الحرم ويشتغل بالمأثور إلى الغروب كانت هذه عادته إلى أن انتقل إلى جوار ربه. ومما سنه في تلك الأعوام: زيارة سيد الشهداء مشياً على الأقدام، فقد كان ذلك في عصر الشيخ الأنصاري قدس سره من سنن الأخيار وأعظم الشعائر، لكن ترك في الأخير وصار من علائم الفقر وخصائص الأدنين من الناس، فكان العازم على ذلك يتخفى عن الناس لما في ذلك من الذل والعار، فلما رأى شيخنا ضعف هذا الأمر اهتم لـه والتزمه فكان في خصوص زيارة عيد الأضحى يكتري بعض الدواب لحمل الأثقال والأمتعة ويمشي هو وصحبه، لكنه لضعف مزاجه لا يستطيع قطع المسافة من النجف إلى كربلاء بمبيت ليلة كما هو المرسوم عند أهله، بل يقضي في الطريق ثلاث ليال .. فيصل كربلاء المقدسة، وفي السنة الثانية والثالثة زادت رغبة الناس والصلحاء في الأمر وذهب ما كان في ذلك من الإهانة والذل، إلى أن صار عدد الخيم في بعض السنين أزيد من ثلاثين لكل واحدة بين العشرين والثلاثين نفرا.

توفي ليلة الأربعاء لثلاث بقين من جمادى الثانية (١٣٢٠هـ) ودفن بوصية منه بين العترة والكتاب يعني في الايوان الثالث عن يمين الداخل إلى الصحن الشريف من باب القبلة، وكان يوم وفاته مشهودا جزع فيه سائر الطبقات ولا سيما العلماء. ورثاه جمع من الشعراء وأرخ وفاته آخرون.

ولجثمانه كرامة، فقد حدثني العالم العادل والثقة الورع السيد محمد بن أبي القاسم الكاشاني النجفي قال : لما حضرت زوجته الوفاة أوصت أن تدفن إلى جنبه، ولما حضرت دفنها، وكان ذلك بعد وفاة الشيخ بسبع سنين نزلت في السرداب لأضع خدها على التراب، حيث كانت من محارمي لبعض الأسباب، فلما كشفت عن وجهها حانت مني التفاتة إلى جسد الشيخ زوجها فرأيته طريا كيوم دفن، حتى أن طول المدة لم يؤثر على كفنه ولم يمل لونه من البياض إلى الصفرة.

راجع أعيان الشيعة: ج٦ ص١٤٣ ترجمة حسين النوري. ترجمة الشيخ آغا بزرك الطهراني في مقدمة كتاب المستدرك.

شيخ العراق، ثم رئيس الإسلام، وبكائه وتذلله، لرأيته من الذين وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام من أصحابه للأحنف بن قيس.

حيث روي أنه لما قدم أمير المؤمنين عليه السلام البصرة بعد قتال أهل الجمل دعاه الأحنف بن قيس واتخذ له طعاما فبعث إليه صلوات الله عليه وإلى أصحابه، فأقبل ثم قال: «يا أحنف، ادع لي أصحابي» فدخل عليه قوم متخشعون كأنهم شنآن بوالي، فقال الأحنف بن قيس: يا أمير المؤمنين، ما هذا الذي نزل بهم، أ من قلة الطعام، أو من هول الحرب؟!

فقال (صلوات الله عليه): «لا يا أحنف، إن الله سبحانه أجاب أقواما تنسكوا له في دار الدنيا تنسك من هجم على ما علم من قربهم من يوم القيامة من قبل أن يشاهدوها، فحملوا أنفسهم على مجهودها، وكانوا إذا ذكروا صباح يوم العرض على الله سبحانه توهموا خروج عنق يخرج من النار يحشر الخلائق إلى ربهم تبارك وتعالى، وكتاب يبدو فيه على رؤوس الأشهاد فضائح ذنوبهم، فكادت أنفسهم تسيل سيلانا، أو تطير قلوبهم بأجنحة الخوف طيرانا، وتفارقهم عقولهم إذا غلت بهم مراجل المجرد إلى الله سبحانه غليانا، فكانوا يحنون حنين الواله في دجى الظلم، وكانوا يفجعون من خوف ما أوقفوا عليه أنفسهم، فمضوا ذبل الأجسام، حزينة قلوبهم كالحة وجوههم ذابلة شفاههم خامصة بطونهم، تراهم سكارى، سمار وحشة الليل متخشعون، كأنهم شنآن بوالي، قد أخلصوا لله أعمالا سرا وعلانية، فلم تأمن من فزعه

قلوبهم، بل كانوا كمن حرسوا قباب خراجهم، فلو رأيتهم في ليلتهم وقد نامت العيون وهدأت الأصوات وسكنت الحركات من الطير في الوكور، وقد نهنههم هول يوم القيامة بالوعيد عن الرقاد، كما قال سبحانه: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ (١) فاستيقظوا لها فزعين، وقاموا إلى صلاتهم معولين باكين تارة، وأخرى مسبحين، يبكون في محاريبهم ويرنون، يصطفون ليلة مظلمة بهماء يبكون، فلو رأيتهم يا أحنف في ليلتهم قياما على أطرافهم منحنية ظهورهم يتلون أجزاء القرآن لصلواتهم، قد اشتدت إعوالهم ونحيبهم وزفيرهم إذا زفروا، خلت النار قد أخذت منهم إلى حلاقيمهم، وإذا أعولوا حسبت السلاسل قد صفدت في أعناقهم ..» (٢).

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا للتحلي بالأخلاق المثالية لنفوز بسعادة الدنيا والآخرة إنه قريب مجيب.

«اللهم وصل على محمد وآله، كأفضل ما صليت على أحدٍ من خلقك قبله، وأنت مصل على أحد بعده، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا برحمتك عذاب النار» (٣).

---

(١) سورة الأعراف: ٩٧

(٢) بحار الأنوار: ج٦٥ ص١٧٠ ب١٩ ح٣١.

(٣) الصحيفة السجادية: من دعائه عليه السلام في مكارم الأخلاق ومرضى الأفعال.

من هدي القرآن الحكيم

التقوى قوام الأخلاق:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللهُ غَنِيّاً حَمِيداً﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ (٢).

وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (٣).

وقال جل وعلا: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (٤).

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ

---

(١) سورة النساء: ١٣١.

(٢) سورة الأعراف: ٩٦.

(٣) سورة الحج: ١.

(٤) سورة الأعراف: ٢٦.

وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (١).

دوافع العبادة

١: الخوف من النار

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾(٢).

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ﴾ (٣).

وقال عز وجل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً﴾ (٤).

٢: الطمع في تحصيل الثواب

قال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا

---

(١) سورة المجادلة: ٩.

(٢) سورة الإنسان: ١٠.

(٣) سورة الرعد: ٢١.

(٤) سورة الإسراء: ٥٧.

خَالِدُونَ﴾[1].

٣: حب الله عزوجل

قال عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً للهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ للهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

وقال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

مصاديق للأخلاق المثالية

قال جل وعلا: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ

---

(١) سورة البقرة: ٢٥.

(٢) سورة البقرة: ١٦٥.

(٣) سورة آل عمران: ٣١.

(٤) سورة المائدة: ٥٤.

فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿لاَّ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً عَلِيماً﴾ (٢).

وقال سبحانه: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣).

وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (٤).

من أخلاق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

قال جل وعلا: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٦).

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٢) سورة النساء: ١٤٨.

(٣) سورة هود: ١١٥.

(٤) سورة الحجرات: ١٢.

(٥) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٦) سورة الأنبياء: ١٠٧.

حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [1].

وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2].

من هدي السنة المطهرة

التقوى قوام الأخلاق

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أيها الناس، إن العربية ليست بأب ووالدة، وإنما هو لسان ناطق، فمن تكلم به فهو عربي، ألا إنكم من آدم وآدم من تراب وأكرمكم عند الله أتقاكم»[3].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «.. وأوصاكم بالتقوى، وجعلها منتهى رضاه، وحاجته من خلقه، فاتقوا الله الذي أنتم بعينه، ونواصيكم بيده، وتقلبكم في قبضته»[4].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «اتقوا الله وصونوا دينكم بالورع»[5].

وكتب أبو جعفر الباقر عليه السلام إلى سعد الخير: «بسم الله الرحمن

---

(١) سورة التوبة: ١٢٨.

(٢) سورة القلم: ٤.

(٣) تفسير القمي: ج٢ ص٣٢٢ سورة الحجرات.

(٤) نهج البلاغة، الخطب: ١٨٣ من خطبة له عليه السلام في قدرة الله (عز وجل) وفي فضل القرآن، وفي الوصية بالتقوى الله تعالى.

(٥) الكافي: ج٢ ص٧٦ باب الورع ح٢.

الرحيم، أما بعد، فإني أوصيك بتقوى الله، فإن فيها السلامة من التلف والغنيمة في المنقلب، إن الله عز وجل يقي بالتقوى عن العبد ما عزب عنه عقله، ويجلي بالتقوى عنه عماه وجهلة»[1].

دوافع العبادة: ١: الخوف من النار

قال علي بن الحسين عليه السلام: «فاشعروا قلوبكم ـ لله أنتم ـ خوف الله، وتذكروا ما قد وعدكم الله في مرجعكم إليه من حسن ثوابه، كما قد خوفكم من شديد العقاب»[2].

٢: الطمع في تحصيل الثواب

قال الإمام الصادق عليه السلام: «.. وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب، فتلك عبادة الأجراء»[3].

٣: حب الله عز وجل

فيما جاء في صحيفة إدريس عليه السلام: «طوبى لقوم عبدوني حباً، واتخذوني إلهاً ورباً، سهروا الليل ودأبوا النهار، طلباً لوجهي من غير رهبة ولا رغبة، ولا لنار ولا جنة، بل للمحبة الصحيحة والإرادة

---

(١) الكافي: ج٨ ص٥٢ باب رسالة أبي جعفر عليه السلام إلى سعد الخير ح١٦.
(٢) بحار الأنوار: ج٧٥ ص١٤٣ ب٢١ ح٦.
(٣) الكافي: ج٢ ص٨٤ باب العبادة ح٥.

الصريحة»[1].

مصاديق للأخلاق السامية

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا بني عبد المطلب، إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فالقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر»[2].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «عليكم بالورع والاجتهاد وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من أئتمنكم عليها، براً كان أو فاجراً»[3].

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليكم بمكارم الأخلاق؛ فإن الله عز وجل بعثني بها، وإن من مكارم الأخلاق أن يعفو الرجل عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، وأن يعود من لا يعوده»[4].

وقال الإمام الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾[5]: «اصبروا على المصائب»[6].

من أخلاق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما صافح رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً قط فنزع

---

(١) بحار الأنوار: ج٩٢ ص٤٦٧ الصحيفة العشرون صحيفة المحبة...

(٢) الكافي: ج٢ ص١٠٣ باب حسن البشر ح١.

(٣) تحف العقول: ص٢٩٩ ما روي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٤) الأمالي، للشيخ الطوسي رحمه الله: ص٤٧٧ المجلس١٧ ح١١.

(٥) سورة آل عمران: ٢٠٠.

(٦) وسائل الشيعة: ج٣ ص٢٥٦ ب٧٦ ح٣٥٦٣.

يده حتى يكون هو الذي ينزع يده منه»[1].

وقال عليه السلام: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر ما يجلس تجاه القبلة»[2].

وعن أنس بن مالك قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده[3].

وعن أبي الحميساء قال: بايعت النبي صلى الله عليه وآله قبل أن يبعث، فواعدته مكاناً فنسيته يومي والغد، فأتيته يوم الثالث فقال صلى الله عليه وآله: «يا فتى، لقد شققت عليّ؛ أنا ها هنا منذ ثلاثة أيام»[4].

وعن أنس بن مالك قال: إن النبي صلى الله عليه وآله أدركه أعرابي فأخذ بردائه، فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أثرت به حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال له: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وآله فضحك، وأمر له بعطاء[5].

وعن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله حييا لا يسأل

---

(١) الكافي: ج٢ ص١٨٢ باب المصافحة ح١٥.

(٢) مكارم الأخلاق: ص٢٦ في جلوسه صلى الله عليه وآله وأمر أصحابه في آداب الجلوس.

(٣) مكارم الأخلاق: ص١٩ في الرفق بأمته صلى الله عليه وآله.

(٤) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٤٦٠ ب٩٢ ح١٠٠٠٥.

(٥) بحار الأنوار: ج١٦ ص٢٣٠ ب٩ ضمن ح٣٥.

شيئا إلا أعطاه. وعنه أيضاً قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه [1].

الفهرس

كلمة الناشر ٣
الإنسان الحقيقي ٦
من مصاديق الخلق العظيم ١٠
التقوى قوام الأخلاق ١١
الشيعة والأخلاق المثالية ١٦
من صفات الشيعة ٢٣
الشيعة في يوم القيامة ٣٦
حب أهل البيت عليهم السلام والعمل ٤٠
التقوى والقانون ٤٤
العبادة والتقوى ٤٨
من أخلاق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ٥٣
عفو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ٥٥
تواضع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ٥٨
الأخلاق الإسلامية ٦٣
نماذج أخلاقية ٦٧
الإمام الحسين عليه السلام وتعامله مع الشامي ٦٨
الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ورجل من ولد عمر ٧٣

(١) بحار الأنوار: ج١٦ ص٢٣٠ ب٩ ضمن ح٣٥.

صور من الخلق المثالي ٧٥
العلماء الأبرار ٧٩
من هدي القرآن الحكيم ٨٨
من هدي السنة المطهرة ٩٢
الفهرس ٩٦